٢٩٠

HARLEQUIN

روايات احلام

الرجل الظلّ

ليز فيلدينغ

www.elromancia.com
مرمورية

الرجل الظلّ

كانت رومانا كلايبون مصّرة على أن تثبت لنيل فاراداي ماكولاي أنها وشقيقتيها قادرات على ادارة مخازن كلايبورن وفاراداي أفضل من رجال أسرة فاراداي. وظنت رومانا أن الأمر سيكون سهلاً...

لكنه لم يكن كذلك، فوجود هذا الرجل الجذاب الساحر الذي يراقبها ويقيّم كل ما تفعله، أربكها، وأفقدها قدرتها على التركيز. وكأن ما فيها لا يكفي، إذا بها تكتشف أنها وقعت في غرام عدوها وغريمها....

www.liilas.com

لبنان: ٢٥٠٠ ل.ل.
سوريا: ٧٥ ل.س.
الأردن: ١,٥ دينار
الكويت: ٧٥٠ فلس
الإمارات: ١٠ دراهم
قطر: ١٠ ريال

البحرين: ١ دينار
السعودية:
مصر
المغرب
تونس:
عمان

سلسلة روايات احلام جديدة
119196
السعر 8.000

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
The Corporate Bridegroom
First published in Great Britain 2002
Harlequin Mills & Boon Limited
© Liz Fielding 2002
Translation © Dar El-Farasha - 2003
ISBN 9953 - 15 - 138 - 5

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: ٨٢٥٤/١١ هاتف/فاكس: ٤٥٠٩٥٠-١-٩٦١- بيروت - لبنان
Email: dfarasha@cyberia.net.lb

ليز فيلدنغ

ولدت «ليز فيلدنغ» وترعرعت في «بيركشير» وبدأت التأليف في سن الثانية عشرة، بعد أن فازت في مسابقة كتابة الأناشيد، التي أقامتها المدرسة ـ الدير التي كانت تتلقى فيها علومها.
مرت سنوات طويلة، أطول مما تودّ هي أن تعترف به، عملت خلالها كأمينة سر في بعض بلدان إفريقيا والشرق الأوسط، ثم تزوجت ورزقت بطفلين. بعدها، استطاعت أخيراً أن تحقق طموحها وتتفرّغ للكتابة سنة ١٩٩٢.
تعيش الآن مع زوجها «جون» غربي مقاطعة «ويلز»، محاطة بالمناظر الريفية الغامضة والقصور المتداعية، راضية بأن تترك السفر لولديها وبأن تبقى على اتصال بالعالم، عن طريق الانترنيت.
يمكنكم الاتصال «بليز فيلدنغ» على الانترنيت بواسطة شركة هارلكوين على العنوان التالي: http://www.romance.net

www.elromancia.com

مقدمة

بيان صحفي

يسر مؤسسة كلايبورن وفاراداي الإعلان عن تعيين الآنسة أنديا كلايبورن مديرة للشركة.

كما عينت كل من الآنسة فلورا كلايبورن والآنسة رومانا كلايبورن عضوين في مجلس الإدارة.

سيتي دايري، لندن أيقننغ بوست

هل اخترقت المساواة بين الجنسين أخيراً أشهر مخازن لندن وأكثرها أناقة؟

مع إعلان أنديا كلايبورن، ٢٩ سنة، خليفة والدها في إدارة مؤسسة كلايبورن وفاراداي، تنتهي حقبة من الزمن كانت السيطرة فيها للرجال.

ويبدو أن الفتيات الفاتنات، اللواتي كن جزءاً من فريق الإدارة قبل أن يبلغن سن الرشد، رأين أخيراً أن الوقت قد حان لوضع حد لهيمنة المؤسسين الذكورية منذ القرن التاسع عشر.

ولم يجرِ تحدّي هذه السلطة منذ عام ١٨٣٢، حين وضع مؤسسا الشركة تشارلز كلايبورن، ووليام فاراداي، اتفاق ميراث يعطي «الحصة الأكبر» والسيطرة الكاملة لأكبر الوارثين الذكور من كلا العائلتين..

فهل سيتقبل رجال عائلة فاراداي هذه الهزيمة؟ تابعوا هذه الفقرة.

* * *

مذكرة من جوردن فاراداي
إلى نيل فاراداي ماكاولي وبرام فاراداي جيفورد

أنا واثق من أنك رأيت قصاصة الصحيفة المرفقة. وللرد على أي سؤال قد تطرحه، أصدرت اعتراضاً قانونياً فورياً على تعيين أنديا كلايبورن مديرة للشركة.

وكان رد كلايبورن مثيراً للاهتمام. فهن لم يتمسكن بحجة المساواة بين الجنسين، كما توقعت، بل تظاهرن بالدهشة من أن يجد ثلاثة رجال مشغولين الوقت الكافي لإدارة قسم المبيع بالمفرق.

من الممكن أنهن يشككن في أننا ننوي تحويل ممتلكات المؤسسة إلى سيولة، ومن ثم بيعها، الأمر الذي سيعجزن عن منعه لو تولّينا نحن السيطرة، ولا بد من أن نقنعهنّ بالعكس، ولهذا السبب وافقت على اقتراحهن بأن يعمل كل منا على مراقبتهن خلال الأشهر الثلاثة القادمة.

ويبدو أن فتيات كلايبورن يأملن أن يظهرن لنا أن خبرتهن أكثر إفادة لمؤسسة كلايبورن وفاراداي، من السنوات التي أمضيناها نحن في المدينة. وأظن أن تأخير ثلاثة أشهر لن يضيرنا.. مع أنني أعتقد أن الأمر سينتهي في المحكمة.. والمعلومات التي سنكسبها ستخدمنا كثيراً في المحكمة كي نطردهن من مجلس الإدارة.

البرنامج المقترح الذي وافقت عليه هو أن يراقب نيل رومانا كلايبورن خلال شهر نيسان، ويقوم برام بالشيء عينه مع فلورنس كلايبورن خلال شهر أيار، وأنا سأعمل مع أنديا خلال شهر حزيران.. سأرسل ملفاً لكل منكما لدراسته.. أرجو أن تعطيا هذا المشروع قدر ما تستطيعان من وقت، دون أن يشكل هذا عبئاً على أعمالكما اليومية.

أدرك أن هذا عبء عليكما، لكن بما أننا مساهمون متضامنون، أطلب منكما أن تتذكرا أن المكافأة ستكون السيطرة الكاملة على الاستثمار الرئيسي لبيع المفرق، وعلى أكثر العقارات قيمة في البلاد.

* * *

بريد اليكتروني
إلى: رومانا @ كلايبورن. كوم
النسخ إلى: فلورا @ كلايبورن. كوم
من: أنديا كلايبورن. كوم
الموضوع: نيل فاراداي ماكاولي

رومانا

لقد طلب المحامي ثلاثة أشهر للرد على مطالبة فاراداي بإدارة كلايبورن، وكخطة للتأخير اضطررت أن أكون لطيفة، وأعرض عليهم أن يروا كيف ندير المؤسسة.. من الداخل.

سيتصل بك نيل فاراداي ماكاولي في وقت قريب ليرتب برنامجاً مناسباً له ليراقبك خلال شهر نيسان. الرجل يعمل كممول استثمارات، وما من شك، سيروقه أن يضع يده على مؤسسة كلايبورن وفاراداي وأملاكها، وأحتاج إليك لتقنعه. أن من الأفضل له أن يترك الأمر لنا.

قبول أسرة فاراداي الدعوة لمراقبة دورنا في الشركة، يدل على أنهم ينظرون إلى المسألة كفرصة لجمع المعلومات.. أرجوك.. كوني حذرة.

أنديا

١ ـ خرقاء

فتشت رومانا كلايبورن حقيبة يدها وهي في حالة ذعر متصاعد... ولم يكن ذلك بسبب ضياع محفظتها ولا حتى قرار نيل فاراداي ماكاولي المزعج بالمجيء اليوم من بين كل الأيام.

بالرغم مما قد تعتقده شقيقتها، في الحياة أمور أسوأ من رجال يحملون اسم فاراداي شهرةً لهم.

أسوأ حتى من التأخر في المواعيد.

وهذا ليس بالأمر الجديد.. فهي لم تأتِ يوماً في الوقت المحدد، مع ذلك كانت رسالة أنديا الصوتية هذا الصباح، واضحة تماماً. الدقة في المواعيد أمر أساسي، فنيل ماكاولي يريد مناقشة ترتيبات المراقبة معها عند الساعة الثانية عشرة تماماً، وعليها ترك كل شيء لتكون على الموعد المحدد.. وما من شيء إطلاقاً يمكن أن يكون أكثر أهمية... ولا حتى افتتاح الأسبوع الخيري السنوي الذي تنظمه مؤسسة كلايبورن وفاراداي، فالمرحلة متأزمة حالياً.

ـ آسفة..

وألقت نظرة اعتذار على سائق سيارة الأجرة.

ـ أعرف أنها هنا في مكان ما.. لقد كانت معي حين أخذت...

رد الرجل مقاطعاً: «على مهلك سيدتي.. أمامي اليوم كله».

رفعت رأسها: «حقاً؟».

ثم أدركت أنه يسخر. فكشرت وتابعت البحث عن المحفظة المختفية. كانت تعرف أنها كانت معها لأنها استخدمت بطاقة الاعتماد، كما أنها استعملتها لدفع ثمن القهوة التي تحملها في يدها.

أعادت عرض المشهد في رأسها.. لقد طلبت، دفعت، ودست المحفظة في جيبها...

لكن ارتياحها لم يدم طويلاً.

فعندما مدت يدها إلى جيب معطفها، ما أوقعت القهوة على الأرض... لا بل على حذاء رجل كان ماراً بالقرب منها، فانسخ الحذاء وكذلك سروال الرجل.

توقف الرجل والتقط كوب القهوة برأس مظلته الحريرية السوداء.

ثم قال: «هذا لك، كما أعتقد».

أخذت الكوب، وكانت هذه غلطة، لأنه كان مبللاً ومتسخاً، والاعتذار الذي قفز فوراً إلى شفتيها تحوّل إلى تعبير قرف.

ثم جاءت الغلطة الثانية.. رفعت نظرها وكادت توقع الكوب مجدداً.. كان الرجل وسيماً، طويل القامة، أسمر البشرة.. وجمدت للحظة، وقد ضاعت تماماً الكلمات منها. اعتذري.. يجب أن تعتذري.. وأن تعرفي من هو.

حتى وهي تفتح فمها، أدركت أنه بعيد جداً عن التأثر بمقابلة امرأة مثلها... وبدا على وجهه وكأنه يقول «غبية» «عمياء» و «امرأة».. ومات الاعتذار على شفتيها.

لم يكن الأمر مهماً.. فواضح أنه لم يكن ليهتم بأي شيء قد تقوله.. فقد استدار وأكمل سيره ثم دخل شركة كلايبورن وفاراداي، وتركها على الرصيف فاغرة فاها.

كان وصول نيل ماكاولي متوقعاً. أرشده أحد الموظفين إلى المكاتب في الطابق الأعلى حيث أعطى معطفه ومظلته إلى موظفة الاستقبال قبل أن يدخل غرفة الملابس ليمسح القهوة عن بنطلونه وحذائه. ورمى المنديل الورقي في سلة المهملات، ثم نظر إلى ساعته متوتراً. ليس لديه الوقت الكافي لموعده، وتلك المرأة الغبية جعلته يتأخر.

ماذا كانت تفعل بحق السماء مع كل تلك الأغراض والأكياس التي تحملها؟

لكن، لا يهم.. فقد تأخرت رومانا كلايبورن كذلك.. أدخلته سكرتيرتها إلى المكتب الفاخر، وتقدم نحو النافذة، محاولاً ألا يفكر بآلاف الأشياء المهمة الأخرى التي كان يجب أن يقوم بها في هذه اللحظة.

قال سائق سيارة الأجرة: «هذا ليس يومك آنستي.. أليس كذلك؟».

وتابعت رومانا النظر إلى الرجل.. يا له من شخص نكد.

سأل سائق السيارة: «هل تريدين إيصالاً؟».

ـ ماذا؟ أوه.. أجل.. هاك..

وأعطته ورقة نقدية.

ـ احتفظ بالباقي.

كانت لا تزال تحمل كوب القهوة، ولم تجد سلة مهملات في الشارع، فاضطرت إلى حمله إلى مكتبها.

خلّصتها السكرتيرة من الكوب، وأخذت الحقائب والأكياس والمعطف، وبدأت رومانا تقول: «أنا أتوقع السيد ماكاولي.. ولن أستطيع إعطاءه أكثر من خمس دقائق، لذا سأعتمد عليك

لتنقذيني..».

ثم انتبهت إلى نظرة الفتاة التحذيرية.

وتمتمت الفتاة: «لقد وصل السيد ماكاولي منذ دقيقتين، وهو ينتظر في مكتبك».

استدارت لترى رجلاً يقف قرب النافذة. ينظر إلى الخارج من فوق سطوح الأبنية في لندن. أوه.. اللعنة! لا بد أنه سمعها، بداية عظيمة. أخذت منديلاً ورقياً ومسحت يديها، وتخلت عن أي فكرة لإصلاح أحمر الشفاه أو تسريح شعرها.. فما من وقت لهذا.. سوّت سترتها ودخلت مكتبها.

كان نيل ماكاولي مثيراً للإعجاب، على الأقل من الخلف. فهو طويل القامة، أسود الشعر يرتدي بذلة تغطي كتفيه العريضتين بشكل رائع.

قالت: «سيد ماكاولي؟».

وتقدمت عبر الغرفة تمد يدها ترحيباً به وهو يستدير: «أنا آسفة جداً على التأخير».

وكانت على وشك أن تشرح له، حين اكتشفت أن عذرها لا لزوم له، ووجدت نفسها فاغرة الفاه وهو يستدير إليها ويأخذ يدها.

وفكرت أنه من السخرية أن يكون نيل ماكاولي والشخص النكد الذي أغرقته بقهوتها، هو الشخص ذاته.. فهذا على أي حال أول شهر نيسان.. يوم الكذب.

ـ هل عرضت عليك سكرتيرتي..؟

أكمل لها جملتها حين ترددت: «القهوة؟».

كان يتكلم بصوت منخفض وعميق، عرفت أنه لن يرتفع أبداً فوق هذا المستوى الهادىء، مهما تعرض للاستفزاز. ولقد سبق واختبرت

www.elromancia.com

قدرته على السيطرة على الذات.

وأكمل: «شكراً لك.. لكنني أعتقد أنني تناولت كل القهوة التي أستطيع تحملها منك ليوم واحد».

في تلك اللحظة أدركت رومانا معنى الأزمة التي كانت أختها تكلمها عنها.

هل هذا الرجل أحد شركائهن «الصامتين»؟ لم يخطر ببالها أبداً أن تتساءل عن سبب صمتهم في حين أنهم شركاء في المؤسسة. لقد افترضت أنهم كبار جداً في السن، أو ربما ليسوا مهتمين بالعمل وحصتهم أكثر من كافية لإعالة ثلاثة أثرياء متكاسلين.

لكن، بعد وفاة أبيها بنوبة قلبية اكتشفت، هي وشقيقتاها الحقيقة.. فبعيداً عن كونهم كسالى، كان الشركاء أصحاب امبراطوريات كل لحسابه الخاص، الرأسمالي المغامر، المصرفي، والمحامي.

والآن يريدون امبراطورية كلايبورن كذلك.

وهذا هو المصرفي. رجل أظهر أنه بارد إلى درجة التجمد. ومهمتها أن تقنعه بأنها امرأة أعمال كفؤة، قادرة على إدارة شركة كبرى، لكن البداية لم تكن جيدة.

سيكون كل شيء على ما يرام.. كل ما في الأمر أنه اختار يوماً سيئاً... وفي الغد ستكون على ما يرام. وسرعان ما ستعوض الخسارة، وتظهر جدارتها.. فحين تسلمت العلاقات العامة، كان المخزن كعجوز متصابية، ولقد حولته إلى العكس. وستتمكن من التعامل مع هذا الموقف.

أما الآن، فهي تتقدم نحو أسوأ لحظة في حياتها، وآخر ما تحتاج إليه هو مواجهة هذا السيد المثلج.

حاولت أن تكون مثله متماسكة، وعلى القدر نفسه من البرودة وقالت: «أنا حقاً آسفة بشأن القهوة، كنت سأعتذر لو أعطيتني الفرصة».

وانتظرته ليعترف أنه كان يجب أن يفعل هذا. لكنه لم يفعل. فأكملت: «أرجوك، أرسل لي فاتورة المصبغة».

بقيت أساريره جامدة ووجدت نفسها تقول: «أو تستطيع أن تخلعه الآن لكي ينظفه أحد الموظفين ويكويه..».

كانت تحاول المساعدة. لكن بدلاً من هذا، تخيلته وهو يذرع المكتب بسرواله القصير، واحمر وجهها. لكنها لا تحمر خجلاً أبداً، إلاّ حين تقول شيئاً غبياً حقاً.. وواضح أنها بدت في هذه اللحظة «غبية حقاً».. ونظرت إلى ساعتها.

- يجب أن أرحل بعد نحو عشر دقائق. لكن، يمكنك على الرحب والسعة أن تستخدم مكتبي وأنت تنتظر.

قالت هذا لتجعله يفهم أنها لن تبقى هنا لتسليه.. وهو من غير سرواله.

أي رجل آخر، ممن تعرفهم، كان ليبتسم مثل الأبله، ويصلي لكي يحالفه الحظ. ولن يكون محظوظاً.. لكن نيل ماكاولي يجب ألاّ يعرف هذا.. لقد بقي يرمقها بنظرات جليدية.. لا، لن تستطيع قطعاً منافسته في البرودة.

إمّا أن يحبها الرجل وإمّا أن يكرهها... وعبثت بشعرها متوترة. وكانت حركة «فتيات» يحبها الرجال أو يكرهونها.. وواضح أن السيد ماكاولي سيكرهها، ثم بادرته بابتسامة دافئة تسلب الألباب وتذيب قلوب الرجال، لكن ليس السيد ماكاولي.. فهو ليس برجل عادي... إنه مختلف.

إنه تمثال جليد. . بكل ما في الكلمة من معنى.

ـ آنسة كلايبورن، لقد طلب مني ابن عمي أن أراقبك لبعض الوقت وأنت تعملين. هذا، إذا كنت قادرة على توفير وقت ثمين للعمل بدلاً من الخروج للتسوق.

ولحقت بنظرته التي استقرت على أكياس الملابس الموضوعة على الكنبة.

ـ لا تقلل من قدر التسوق يا سيد ماكاولي. . فأسلافنا اخترعوا «التسوق» من أجل المرح، وجعلهم هذا أثرياء. وعادة التسوق هي التي تُبقي الأسهم متداولة.

رد وهو يرفع حاجبه: «ليس لوقت طويل، بالتأكيد، إذا كان المدراء يتسوقون من مكان آخر».

التقطت المفكرة وبدأت تتصفحها، لمجرد أن تبعد عينيها عن تلك النظرة الباردة.

ـ واضح أن لديك الكثير لتتعلمه إذا كنت تتصور أن مصممي الأزياء لا يبيعون قطعة واحدة غير الثياب الجاهزة التي يسوقونها من خلال مخازن البيع. . حتى مخزن فاخر مثل كلايبورن وفاراداي. .

وتنفست بارتياح. وأحست أنها أفضل حالاً بكثير، ثم نظرت إليه.

ـ هل نحدد جدول المواعيد؟ هذا إذا كنت قادراً على توفير وقت لمثل هذا الأمر التافه؟

ولم يبد أنه تأثر كثيراً بهذا. . وكان رده هزة كتف خفيفة، يمكن أن تعني أي شيء.

أكملت: «أنا فقط، أظن أنك وأبناء عمك لستم على صلة وثيقة بلعبة التسويق».

ـ لعبة التسويق؟ أنا آسف. لم أكن أعلم أنك تعملين وراء منصة

البيع.

وجاء دورها لتصمت. لقد حذرتها أنديا أن تقوم بعملها فقط، وأن تبقى صامتة دون الإدلاء بملاحظات ذكية. . ولسوء الحظ، كان لسانها أحياناً يسبق تفكيرها.

وأكمل بإصرار: «وهل تقومين بهذا العمل؟».

اعترفت: «ليس الآن. لكننا فعلنا هذا في الماضي حين كنا نتعلم كيفية تسيير العمل. . هل يعرف أحد منكم حقاً مبادىء إدارة متجر؟ بيع المفرق ليس عملاً للهواة».

ـ حقاً؟

وبدا على الأقل أن هذا أعجبه. . أم أنه يلمّح إلى أنها يعتبرها هي الهاوية؟ إذا كان الأمر هكذا فأمامه الكثير ليتعلمه.

ـ قد تكون أعظم مصرفي مستثمر في العالم، لكن، هل تعرف كم قطعة ثياب داخلية حريرية يجب أن تطلب في فترة عيد الميلاد؟

سأل: «وهل تعرفين أنت؟».

وقبل أن تقول له العدد تابع كلامه: «أنا واثق من أنك لا تقومين بهذه الأمور اليومية. فلديك رؤوساء أقسام من صميم عملهم اتخاذ مثل هذه القرارات».

كان هذا صحيحاً جزئياً، وهي واثقة من أنه يعرف.

ـ المسؤولية تتوقف على الطابق الأعلى سيد ماكاولي وأنا أحاول ببساطة أن أوضح لك أنني عملت في قسم البيع. وعملت في كل الأقسام، وقدت سيارات التسليم. .

قاطعها: «وكم تعلمت من هذا؟».

ـ تعلمت ألا أفعل هذا مرة أخرى.

ومنحته ابتسامة أملت أن يتقبلها كعرض سلام. . ثم ربما يمكن أن

www.elromancia.com

يتوقفا عن المبارزة الكلامية، والبدء بالعمل.. كندّين.

أجاب: «ما كنتن تعرفن شيئاً عن الاتفاق.. أليس كذلك؟».

وتجاوز بهذا عرض السلام، وأكمل: «وأنكنّ ستستلمن المخزن يوم يتقاعد والدكن؟».

تأخرت قليلاً في القول له إنه مخطىء، وبينما كانت لا تزال تفتش عن الكلمات، قال:

ـ لا أعتقد.. كان على أبيك أن يكون صادقاً معكن منذ البداية.. ولكان هذا أكثر لطفاً.

وأكمل: «نحن لا ننوي التدخل في التفاصيل، كما تعلمين.. ولسوف نستخدم أفضل فريق إداري متوفر لإدارة المتجر..».

ردت: «لكننا أفضل فريق إداري».

لم تشأ المقارنة. كل ما في الأمر أنهنّ من عائلة واحدة.. ومهما كان أجر الإداري الذي سيستخدمه مرتفعاً، فلن يهتم للمؤسسة بالطريقة ذاتها، وأكملت: «اتركوا الأمر لنا، وستستمر الأرباح على ما هي عليه».

قال: «ودون أن يكون لنا رأي بما يحدث... الأرباح لم تتحرك منذ ثلاث سنوات، والمتجر يكافح. حان الوقت للتغيير».

يبدو أن المصرفي حفظ دروسه جيداً ولعلّه يستطيع أن يحدد بالضبط كم كانت الأرباح في السنة المالية الأخيرة، وعلى الأرجح في الأسبوع الماضي.

قالت: «سوق المبيع بالمفرق كانت صعبة طوال الوقت».

لقد تفوهت بالكثير.. وأنديا على حق. يجب أن تبقي رأسها منخفضاً وفمها مطبقاً.

أجاب: «أعرف.. لكن يبدو أن متجر كلايبورن وفاراداي أصبح له صورته الخاصة كأفخم مخزن بيع في لندن».

أعلنت: «هو هكذا.. قد لا يكون الأكبر، لكنه مميز. وهو قطعاً أكثر متجر مريح في المدينة».

ـ مريح؟ قديم الطراز وممل وتنقصه الأفكار الجديدة؟

أجفلت رومانا لهذا الوصف.

وسألت: «وهل لديكم أنتم أفكار جديدة ولامعة؟».

في الواقع، كان بإمكانهن التحسّر على معارضة والدهن للتحديث، والابتعاد عن السجاد الأحمر، وديكور القرن التاسع عشر... لكنها لن تقول هذا لنيل ماكاولي.. لقد فات الأوان على الخضوع.

قال نيل ماكاولي: «بالطبع لدينا خطط».

وكأن هذا أمر لا يمكن التفكير به.

كان في بذلته السوداء، أشبه بتمثال مجرّد من العاطفة متحجر العينين، فماذا عساه يقدم لأكبر مخازن البيع في لندن؟

ـ لم أقل خطط.. بل أفكار. فالخطط شيء مختلف تماماً، قد تخطط أن تبيع لإحدى الشركات... مجرد مال تلعب به في مصرفك. وإذا كنت تملك الحصة الكبرى من الأسهم، لن نتمكن من فعل شيء لإيقاف..

تعالى صوت من الهاتف الداخلي ليوقف تدفق كلامها: «رومانا.. آسفة للمقاطعة، لكن إذا لم تغادري على الفور..».

نظر نيل ماكاولاي إلى ساعته وقال: «خمس دقائق تماماً».

وفكرت: خمس دقائق وقت طويل جداً.

ـ أنا آسفة سيد ماكاولي.. فبالرغم من سحر تبادل وجهات النظر هذا، لدي موعد في مكان آخر في الحال.. ولعمل يخص كلايبورن وفاراداي. وأنا مضطرة لتركك تقارن جدول الأعمال مع سكرتيرتي.

أعلمها فقط متى تستطيع توفير وقت للمخزن ولسوف أشملك في خططي.

ودون انتظار وجهة نظره، أمسكت الأكياس، ودون أن تزعج نفسها أن تنتظر المصعد، اتجهت إلى السلم.

توفير بعض الوقت؟ لن يدع نيل فتاة تافهة تنجو بإهانة كهذه.. إنها هي التي لا تعطي القيمة الكاملة، ولسوف يبرهن عن هذا.. وأخذ معطفه والمظلة ولحق بها.

ـ آنسة كلايبورن؟

كان الحارس بثيابه الرسمية عند المدخل، قد استدعى سيارة أجرة فصعدت إليها بسرعة. كانت على عجلة من أمرها ولا تستطيع تحمّل المزيد من نيل ماكاولي.

ـ لم يلزمك وقت طويل.

واضح أنه لحق بها عبر السلم مباشرة، وهذا ليس بالوقت الطويل بما يكفي. سألته من باب اللياقة: «هل أستطيع إيصالك إلى مكان ما سيد ماكاولي؟».

ـ لا.

ولم تطل مدة ارتياحها، فقد صعد إلى جانبها مكملاً: «أنا ذاهب حيث أنت ذاهبة يا آنسة كلايبورن. حين قلت إنني سأمضي بعض الوقت أراقبك، لم أكن أشير إلى مواعيد محضّرة سلفاً، بل عنيت الآن».

كررت بغباء: «الآن؟ تعني الآن في هذه الدقيقة؟».

وضحكت غير مقتنعة.. آملة أن يكون ممازحاً. ولم ينضم إليها في الضحك. لقد نسيت أن هذا الرجل لا يمزح.

قالت: «سامحني.. لقد فهمت أن لديك مصرفاً تديره، واعتقدت أنك رجل كثير الانشغال، وتريد أن تنتقي الأوقات التي تناسبك».

وأملت أن تبدو صادقة حين أكملت: «قد تفضل ألاّ تتورط في كل شيء أفعله».

هذا لأنها تعني ما تقول فعلاً.. إنها لا تريده أن يتورط في أي شيء تفعله.

رد عليها: «أنت هنا الآن، وأنا هنا، دعينا لا نُظهر الخلاف حول هذا، دعينا فقط نبدأ».

هو يظن أنها تتلاعب لإخفاء أمر ما. أرادت أن تقول له نعم، وتدعه يرى بنفسه، لكن هذه حقاً لن تكون بداية جيدة.

ـ ثق بكلامي.. أنت لن ترغب في مراقبتي اليوم.

ـ وثقي بي حين أقول إنني أرغب حقاً في التعلّم آنسة كلايبورن. وإذا لم أبق معك طوال الوقت، فكيف سأتعلم؟

ـ أنت لا تفهم.. أنا لست..

ـ أنت لا تعملين اليوم؟

ونظر إلى أكياس المشتريات بطريقة أشارت إلى أنه لن يحتاج وقتاً طويلاً ليكتشف كل ما يجب أن يعرفه عنها.. ودلّت نظرته على أنه قيّمها منذ اللحظة التي أوقعت القهوة عليه.

ـ أجل، لكن..

ـ أليس من الأفضل أن تقولي للسائق إلى أين تريدين الذهاب؟

ردت بحزم، متجاهلة اقتراحه: «أنا أعتقد فعلاً أن من الحكمة أكثر أن أرسل لك لائحة بنشاطاتي، أضع فيها ماذا سأفعل لما تبقى من الشهر».

ـ وأنا واثق من أن قراءتها ستكون مثيرة للاهتمام.. لكنني أريد، وبشكل خاص، أن أرى ماذا ستفعلين اليوم.

وشكت بهذا.. شكت فعلاً. وشعرت برجفة خوف صغيرة.

www.elromancia.com

ـ قدرتك على أخذ الأمر بهذه الجدية يستحق الثناء.

ـ أنا آخذ كل شيء بجدية، وأنا بالتأكيد لست من النوع الذي يؤمن بأنه لم يبقَ شيء ليتعلمه... حتى منك.

ـ هذا كرم أخلاق منك.

وابتسمت له بسخرية... أترى انتقلت إليها العدوى؟

كرر سؤاله: «ألن تعملي اليوم؟ وهل تأخذين مرتباً كاملاً؟».

بدا سؤاله وكأنها تغش بطريقة ما، بأخذها للمال دون أن تعمل.

قالت: «أجل.. أنا آخذ مرتباً كاملاً».

واليوم ستكسب كل قرش منه.. ومالت إلى الأمام لتعطي السائق عنوان المكان الذي تقصده.

دهشت أنديا لأن رجال فاراداي تقبلوا خطتها التأخيرية، وخطر ببال رومانا فجأة، أن الأمور ليست بسيطة كما بدت في البداية. لماذا يخصص ثلاثة رجال دائمي الانشغال هذا الوقت الكثير لمراقبة ثلاث شابات لن يعلموهم شيئاً؟

لقد اعترف نيل ماكاولي أنهم لن يديروا المتجر، بل سيجيئون بفريق إدارة. فهل هم بحاجة إلى إثبات أن نساء كلايبورن غير كفؤات قبل أن يأملوا بطردهن من مجلس الإدارة؟

لكنهن كفؤات، لذا فكل شيء على ما يرام.

ـ آنسة كلايبورن؟

ـ ماذا؟.. تريد أن ترى كيف أكسب مرتبي؟

ـ لقد أعلنت بحدّة ونحن هناك كم تعلمت بمشقة، وأن لا أحد آخر يستطيع القيام بالعمل.

ـ أنا لم أقل لا أحد، لكنني لا أعتقد أن مصرفياً مستثمراً يمكن أن يأخذ مكاني بسهولة.

وليس هذا الرجل على أي حال.. فالعلاقات العامة تتطلب دفئاً وقدرة على الابتسام حتى حين لا يشعر المرء برغبة في ذلك.

ـ حسن جداً، أمامك شهر لإقناعي.. وربما يجب ألاّ تضيعي الوقت.

نظرت إليه مجفلة.. هذا الرجل يعرف بالتأكيد كيف يحمل الضغينة.

ـ وهل أنت واثق تماماً من هذا؟ ألا تريد أن تفكر؟

وكانت بهذا تقدم له عرضها النهائي ليفلت من تجربة لا تريدها لأسوأ أعدائها.. وستكون سعيدة أن تقوم باستثناء في هذه القضية، لكنها لا تريده أن يرفع صوته بالتذمر فيما بعد.

ـ على العكس. سأكون مهتماً برؤية ما تفعلينه مقابل المرتب الكبير الذي تتقاضينه إضافة إلى حصتك من الأرباح. وهذه ليست مشكلة.. أليس كذلك؟

وكانت كلمة «كبير» هي التي قررت المصير.

قالت وهي تشدّ حزام مقعدها: «لا بكل تأكيد.. على الرحب والسعة».

وأخذت هاتفها النقال وطلبت رقماً.

ـ مولي.. أنا في طريقي إليك.. وتأكدي من وجود قمصان إضافية تحمل علامة المتجر.

ونظرت إلى الرجل الجالس إلى جانبها.

ولم يعلق على كلامها، بل نظر إليها بارتياب بعينين ضيقتين.

وأكملت: «أظن أنها ستفي بالغرض.. وسأحتاج إلى مقعد آخر في مقصورتي، فالليلة لدي زائر.. نيل ماكاولي».

ثم تابعت: «أشركيه في كل شيء لهذا الأسبوع من فضلك.

www.elromancia.com

سأشرح لك حين أراك..».

- الليلة؟ ماذا سيحدث الليلة؟

- حفل خيري.. الليلة بداية أسبوع الفرح.

بدا نيل مرتبكاً: «الفرح؟ وهل يجب أن أعرف ما هذا؟».

- إنها كلمة تصف البهجة، السعادة، النشاط! وهي كذلك اسم لحفلة دعم خيرية تقوم بها مؤسسة كلايبورن وفاراداي منذ سنتين.. إنها فرصة عظيمة للعلاقات العامة.

- أوه.. أجل.. أذكر أنني قرأت عنها في التقرير السنوي. وماذا غير هذا؟

- نقوم بها كل سنة، ونجمع الكثير من المال للأولاد المعوزين.

- ونحصل على دعاية كبيرة مجانية في الوقت ذاته.

- ليست مجانية تماماً.. فلن تصدق كلفة البالونات هذه الأيام، والقمصان.. لكنها قيّمة بالنسبة للأولاد. وبالطبع، لدينا علاقات عامة جيدة.

وابتسمت له لأن هذا بدا وكأنه يزعجه.

- أنت لم تكن تظن أنها وظيفة بدوام عادي من التاسعة حتى الخامسة.. أليس كذلك؟ أنا لا ألتزم بالوقت مثل المصارف.

ثم أكملت: «أنا آسفة، هل تتوقع زوجتك عودتك إلى البيت؟».

لقد بدأت تصاب بعدوى سخريته.. وخشيت أن تكتسبها.

رد عليها: «أنا لست متزوجاً آنسة كلايبورن.».

ولم تندهش رومانا لهذا أبداً.

* * *

٢ - مديرة غريبة الأطوار

أخرج نيل هاتفه النقال واتصل بسكرتيرته ليعيد ترتيب مواعيده المتبقية لهذا اليوم. على الأقل لم يكن يواجه هذا المساء أي مشكلة، وموعده لمقابلة صحفية حول صناعة الفولاذ، يمكن أن ينتظر.

كانت رومانا تقوم باتصالاتها أيضاً، وتتحدث مع العديد من المشاركين في الحفل الخيري السنوي، وتتأكد من تفاصيل اللحظات الأخيرة فيه.

لعلّها تحاول التأثير به.. أو ربما تتجنب ببساطة الحديث معه.. ولأجل هذا على الأقل يجب أن يشعر بالامتنان.

أخذ نيل ينظر إلى الخارج بينما كان السائق يشق زحام السير الكثيف.. أمامه الكثير من الوقت ليندم على الاندفاع الذي حثه على اللحاق برومانا كلايبورن إلى خارج المكتب.

السماء وحدها تعرف أنه لم يكن يرغب بأن يقضي ولو دقيقة واحدة في رفقتها.. التي اتضح له أنها غير ضرورية.. ليس لديه وقت للشقراوات.. ولا وقت أبداً لمن يحاولن لعب دور «مدير شركة» خلال الوقت القصير الذي يتبقى لديهن من التسوق. ونظر إلى أكياس الملابس ذات العلامة الفاخرة، القابعة أمام ساقيها الطويلتين.

لم يكن لديه شك في أن ثمن الحذاء الفاخر يعكس فخامة الاسم.

www.elromancia.com

كانت ترفع شعرها الكثيف إلى الوراء حين أدركت أنه يحدق بها.. وحذرته كل غريزة فيه أن يشيح بوجهه بعد أن توقفت عن الكلام لتتساءل عن سبب نظرته. وقام بما علم أنه سيوتر أعصابها.. رفع حاجبه.. غير متأثر، واستدار مجدداً ليراقب السيارات المارة.

مهما كانت القضية محقة، لم تكن الحفلات الخيرية طريقته في العمل. فمثل هذه المناسبات في آخر لائحة.. وهو يفضل التبرع بمبلغ بدلاً من الحفلات.

لكنه لا يستطيع التذمر. فقد أعطته كل فرصة ممكنة للهرب.. وعرضت عليه تسوية أمر المراقبة بطريقة متمدنة. غير أنه افترض بكل بساطة أنها تحاول التخلص منه لتنفذ ما حضرت حقيبة الثياب الصغيرة لأجله.

لقد فات الأوان الآن ليتمنى لو أنه سألها عما ستفعله بقية يومها.. لكن في هذه الفتاة ما يجذب. ويبدو من طريقة نظرها إليه بهاتين العينين الزرقاوين الكبيرتين، وكأنها معتادة على سلب ألباب الرجال. إنماأرادها أن تعرف أنه مصنوع من مادة أكثر صلابة.

توقفت السيارة قرب «تاور بريدج» حيث بدت ألوان كلايبورن وفاراداي بارزة على البالونات والكنزات وكان الناس المحتشدون يهزجون ويموجون أمام كاميرات التلفزيون.

ـ لقد وصلنا يا سيد ماكاولي.

قال: «نادني نيل أرجوك».

ولم يكن هذا رغبة منه في رفع الكلفة ولكن لأنه توقّع أن تناديه بالسيد ماكاولي طوال شهر كامل، وبطريقة أشبه بالإهانة، وهذا أمر لن يحسن طباعه مطلقاً.

ورأى بنفسه أنهما وصلا.

لكن ما سيفعلاه هو الذي يزعجه.. وبينما كان يترجّل من سيارة الأجرة، رفرفت راية الشركة ودُعي الجميع إلى الاستمتاع والمرح.

في نهاية المطاف اكتشف أن الحفلات الخيرية، لا تأتي في آخر اهتماماته.

قالت رومانا بعد أن دفعت للسائق: «ليس الأمر هكذا دوماً.. بعض الأيام تكون مملة تماماً».

ودست الفكة في حقيبتها، ثم رفعت نظرها لتبتسم له بسرعة.

ـ ولو أنها ليست كثيرة.. ليس إذا كان بمقدوري أن أفعل شيئاً للمساعدة.

سألها: «وهل ستمرحين وتقفزين؟».

سؤال سخيف. طبعاً.. إنها تقبض أجراً لتمرح وستتمتع بكل دقيقة.

قالت: «هل تتمنى لو أنك عدت إلى مكتبك حين أتيحت لك الفرصة يا رجل الظل المراقب؟».

كان التحدي خفيفاً، ولكن بدت وكأنها تقول له: أينما أذهب أنا ستلحق بي.

رد: «أبداً.. أنا أجد التجربة تثقيفية جداً.. لكن يبدو أنك أسأت تفسير كلمة «الظل المراقب». ما كان عليك أن تدبّري قميصاً لي، لأنني لن «أحذو حذو القائد» رومانا. أنا ببساطة «مراقب»».

رفعت نظرها إليه: «خائف.. أليس كذلك؟».

سألها: «هل فعلت هذا من قبل؟».

ـ أنا؟ يا للسماء، لا..

وللحظة صدقها، ثم ضحكت: «كيف تظن إذن أنني أستقطب هذا القدر من الأشخاص ليرعوا الاحتفال؟».

www.elromancia.com

- ربما تثبتين ضحاياك على الأرض وتهددين بسكب القهوة عليهم، ما لم يوقّعوا!

إنها ذكية ونشيطة.. وما من شك أنها جيدة جداً في هذا النوع من الجنون.. لكنها ليست الشخص الذي يراه مناسباً لإدارة شركة.

سلمت بصحة كلامه بهزة صغيرة من رأسها: «سأدوّن هذا للسنة القادمة.. شكراً لهذه الفكرة».

- لن يكون هناك سنة قادمة.

- حسن جداً لن يكون هناك «مرح» لكن..

وأدركت فجأة أنه لم يكن يشير إلى «المرح» بل إلى رحيل فتيات كلايبورن قريباً من مجلس الإدارة.

ثم أكملت بحزم: «لكنني سأبتكر شيئاً مماثلاً.. إذا أحببت أن تراقبني، لم يفت الوقت بعد لتتصل بمكتبك وتبث لنا بعض الدعاية. وأنا واثقة من أن هناك الكثير من الناس المستعدين لدفع مبالغ طائلة لمجرد رؤيتك تقفز في الهواء».

وكانت ابتسامتها حلوة بشكل كبير وهي تقدم له هاتفها.

- يُبث هذا عبر الانترنيت لذا سيتمكن الناس من رؤية كل شيء مباشرة على الهواء... سأرعى عرضك بنفسي.

وكاد يراهن أنها ستفعل، لكنه هز رأسه: «سألتزم بالاتفاق بيننا، افعلي ما تفعلينه عادة وأنا سأراقب. ستقفزين، أليس كذلك؟».

ولم يكن هناك قسوة في عينيه على الأقل، بل في دماغه فقط.

- على إحدى فتيات كلايبورن أن تفتتح الحفل، وبما أن مواعيد طارئة جدّت على أنديا وفلورا في مكان آخر...

وهزت كتفيها: «أمر مؤسف! لو عرفت أنك ستكون هنا لحجزت لنا القفزة الأولى.. أنت في الأساس تحتل الصفحات الأولى من مجلة

«سيليبرتي» للأسبوع القادم، لكن بوصولك من حيث لا أدري يمكن لنا أن نبيع الصور للصفحات المالية، أيضاً».

- كم من المال جمعتن كرعاية تجارية؟

- أتظن أن المخاطرة بكسر عنقي تستحق ثلاثة وخمسين ألف جنيهاً استرلينياً؟

- ثلاثة وخمسون ألفاً؟ وهل هناك هذا العدد من الناس الذين يريدون رؤيتك وأنت خائفة حتى الموت؟.

لقد تأثر، لكنه لن يُظهر تأثره.

اتسعت عيناها مما جعلهما تبدوان كبيرتين للغاية.

- خائفة حتى الموت؟

- أوليست هذه هي الفكرة؟ تضخمين خوفك من الارتفاعات كي يدفع لك رعاة الاحتفال لمجرد سماعك تصرخين.

ساد صمت قصير قبل أن ترد: «يجب أن أتأكد من أن يحصلوا على قيمة ما وضعوه. وشكراً لأنك ذكرتني».

واسترعى اهتمامها امرأة شابة ترتدي القميص الخاص بالشركة.

قالت مولي: «من هو هذا الرجل الفاتن؟».

- فاتن؟

ولم تلحق رومانا بنظرة مساعدتها مولي لأنها لا يمكن أن تكون تتكلم دون شك عن نيل.

وأكملت: «إنه ليس فاتناً».

بل فاتن بشكل يخدر الدماغ.. من النوع الذي يجعل فتاة توقع قهوتها لمجرد أن يبتسم.. ربما لهذا السبب لا يبتسم.. لأن ابتسامته خطيرة جداً.

- يا للسماء رومانا.. افحصي عينيك.. فأنت لا تحصلين على

www.elromancia.com

طول القامة، وسواد الشعر وهذا الجمال في شخص واحد.

وقالت: «وهل يحق لامرأة متزوجة أن يكون لها مثل هذه الأفكار عن رجل ليس زوجها؟».

ـ أنا متزوجة رومانا ولست مينة.

ـ حسن جداً، بإمكانك أن تشيحي بنظرك الآن... قد يكون النظر إليه ممتعاً لكنني أؤكد لك بأنه ليس لطيفاً، فهو كالح الوجه وبشكل واضح. سمكة باردة حقيقية، واسمه نيل ماكاولي، وهو من أفراد عشيرة فاراداي..

ـ لم أكن أعرف أنه ما زال في عائلتهم أحياء.

ـ لسوء الحظ بلى ويعيشون بقدر ما تتصورين وهذا رجل مسيطر وسوف يراقب دوري في الشركة خلال الشهر الجاري.

ـ أتعنين أنه الشخص الذي سيكون في مقصورتك الليلة؟ يا لك من محظوظة! هل تظنين أنه سيرغب بالقليل من القهوة؟

قالت رومانا: «إنه يحتاج إلى شيء ما.. شراب الفتنة سيكون ممتازاً.. لكنني أنصحك بألاّ تعرضي عليه القهوة إذا كانت حياتك عزيزة عليك».

رفعت نظرها إلى الرافعة وارتجفت: «واحدة منا يجب أن تكون في الحفلة هذا المساء».

ـ ستكونين بخير.. لكن لا تنسي أن تبتسمي لآلات التصوير.. فقد تكون صورتك على الغلاف، لذا حين ترتدين قميص الشركة، تأكدي من وجود الشعار في الوسط.. كان يمكن أن أبقى وأساعدك، لكنني مضطرة لمقابلة مقدمي الطعام والشراب في المسرح.

ابتسمي لآلة التصوير؟ وكأنها قادرة على الابتسام؟

ضبطت نفسها، ووضعت ذراعيها بحزم إلى جانبيها.. وثبتت

ابتسامة على شفتيها، وخرجت لتلتقي المخرج التلفزيوني.

لكن تفكيرها كان في مكان آخر. مع نيل ماكاولي، الواقف على بعد خطوات منها. كان من الصعب معرفة ما إذا كان نادماً على قراره بالانضمام إليها، فأساريره لم تكن تفصح عن شيء.

ـ هل أنت متأكد من أنك لن تنضم إلي نيل؟

استدار المخرج لينظر إليه: «هذا رائع.. لو استطعت تغيير ثيابك بسرعة يا سيد فاراداي..».

ـ الاسم ماكاولي.

وبدا الارتباك على المخرج.

ـ نيل فاراداي ماكاولي.. وهناك أشخاص أكثر مما يكفي هنا مستعدون لرمي أنفسهم في الهواء من أجل قضية جيدة، وأنا لا أريد أن أكون أنانياً وأمنعهم.

نظرت إليه رومانا نظرة تدل على أنه لم يخدعها بمثل عدم الأنانية هذه.

وأكمل: «سأدعم الآنسة كلايبورن بدلاً من ذلك».

فقدت رومانا مؤقتاً القدرة على الكلام.. وكانت هذه هي المرة الثانية اليوم، ولم يعجبها ذلك.

سألته وهي تتقدم: «نيل فاراداي ماكاولي؟ هل هذا حقاً اسمك؟».

ـ إنه تقليد عائلي.. تذكير لنا أن زماننا سيعود.

قالت: «ليس إذا استطعت منعه».

ثم استدارت مبتعدة نحو فريق القفز.. وأخذت تمازح عمال الرافعة، ما جنبّها التفكير بما ينتظرها.

لم تكن تفكر أبداً، وإلا لكانت لفتت انتباه مصور مجلة «سيليبرتي» حين أراد أخذ صورة لهما معاً.. لكن هذا الأمر سيجعل الناس تتكلم،

www.elromancia.com

وتفتعل الضجيج.. أوليس من المهم جداً استعراض قدرتها على الاستفادة من فرصة تصوير؟

قالت: «كلايبورن وفاراداي يعملون كشركاء من أجل الأولاد المحرومين في كل مكان».

ومدت يدها إلى نيل.. هي تقفز وهو يراقب. ما من جديد في هذا.

رسم ابتسامة على فمه، وكأنه عرف بالضبط ما تفكر فيه..

قال المصور يشجعها: «اقتربي.. وكوني دافئة ومهتمة».

وكان نيل متعاوناً بشكل مدهش، فوضع ذراعه حول كتفيها قبل أن تفكر بما فعل.. وأحست براحة لا توصف حين ضمها إليه.

ـ ابتسمي.. ابتسامة جميلة وعريضة.

أجفلت للاتجاه الذي اتخذته أفكارها. ونظرت إليه.. كان النسيم يعبث بشعره والابتسامة تتلاعب على شفتيه. بدا وسيماً للغاية وأشبه بالممثلين السينمائيين.

ما إن انتهى المصور من التقاط الصورة حتى ترك نيل ذراعه تنخفض.. لكن الابتسامة بقيت.. فأدركت أنها أخطأت بجذب اهتمام المصور إلى وجوده. هذا شيء سيتمسك به كاتب المقالات الاجتماعية في مجلة سيليبرتي، ويستطيل في تخميناته، ولو ظهرت الصورة على الغلاف الأمامي، فلن تسامحها أنديا أبداً.

قال وقد انقلبت الابتسامة إلى تقطيبة صغيرة: «إنهم ينتظرونك».

دخلت الرافعة بساقين مرتجفتين، وتمسكت بالحاجز طلباً للأمان وأخذت ترتفع، هل عرف كم هي مذعورة؟ وهل يهم؟

تناهى صوت المقدم إلى أذنيها: «كيف ترين المنظر؟».

قالت وهي تدرك أن آلة التصوير ستلتقط مشهد عينيها المغمضتين

بشدة:

ـ سأترك المفاجأة حتى أصل إلى الأعلى.

ووصل إليها صوت الضحك عبر مكبر الصوت. ومع توقف الرافعة خرجت إلى المنصة وفتحت عينيها وكانت غلطة كبيرة.. فقد بدت لندن أمامها وكأنها تتحرك تحت قدميها، وأحست أن اللون فارق وجهها.

تمسكت بأول شيء صلب وصلت إليه يدها وقالت: «أريد العودة إلى منزلي.. الآن».

وضحك الجميع.

وانضمت إلى الضحك، محاولة المحافظة على هدوئها. لكن الوقت كان ينفد. ومع وصول الرافعة مجدداً محملة بمن سيشاركون في القفز، قالت: «هل يمكن لأحد انتزاع أصابعي عن السياج؟».

ـ اعتقدت أن هذا جزء من عملك اليومي.

إنه نيل ماكاولي، يتقدم لنجدتها وعرفت أنه شاهد ذعرها.

ـ لقد أوقعت هذا.

وأعطاها بطاقة قد وقعت منها.

ـ أنا لا أرغب في رؤيتك تخفقين في هذه التجربة.

كانت تريد أن تستدير نحوه وتحملق به بغضب، لكنها لم تكن قادرة على الحراك، إضافة إلى أن العرض على الهواء مباشرة.

ـ حسن جداً.. شكراً. من الجيد رؤية كلايبورن وفاراداي يعملون معاً.

حتى في أكثر المواقف تطرفاً لم تنس ذكر اسم الشركة.

ـ ما من مشكلة. لهذا أراقبك، لألتقط أغراضك.. هل يمكن أن أعرض مساعدتي؟

ها هو يسخر مجدداً، لكن رومانا كانت قد تجاوزت مرحلة الحقد، لا سيّما وأن أصابعها قد ابيّضت من الخوف وهي تمسك المعدن البارد.

أخذ نيل ينتزع أصابعها واحداً واحداً عن السياج.. وقالت: «أنت بطلي».

وكان فريق التعليق متشوقاً للبدء فثبت حبل القفز. وحين انتهوا، مد نيل يده ليساعدها على الوقوف. وأحست براحة غريبة، وأبقت عينيها مركزتين على وجهه، وبهذه الطريقة لم تعد تشعر بالارتباك للقفز. كان هناك تجاعيد حول عينيه، وكأن الابتسام الدائم كان صعباً عليه، وقال: «من الطبيعي أن تكوني خائفة».

ـ خائفة؟ من الخائف؟

ووضعت أصابع يدها في فمها وكشرت أمام آلة التصوير.. فالتهريج هو السبيل الوحيد الذي سيجعلها تتجاوز هذا الوضع.

قال: «إنه أكثر أمناً من الوقوع عن السرير».

سألت: «وهل يمكن أن تضمن هذا؟ وهل جربت النظرية؟ كم سريراً وقعت عنه؟».

لم يكن الكلام مترابطاً، لكنه أثار موجة ضحك بين أعضاء فريق العمل وأوقف نيل ماكاولي عن الابتسام.. وكان نجاحاً مائة بالمائة.

ـ جاهزة رومانا؟

تذكرت متأخرة نصيحة مولي لها أن تبتسم. وسحبت يدها من يد نيل، وأخرجت من جيبها مرآة صغيرة وأحمر الشفاه، وقامت بعرض بارز في إصلاح زينتها، وقالت: «يجب أن أبدو جميلة في الصور».

أعطت المرآة وأحمر الشفاه لنيل: «الآن أنا مستعدة.. هل لديك نصيحة أخيرة؟».

ـ لا تنظري إلى الأسفل!

ورفعها من الخلف، وبقي يضمها للحظة إلى صدره الصلب، وللمرة الأولى منذ دخلت الرافعة أحست بالأمان، ثم خطا بها خطوة إلى الأمام.

أفلتت منها شهقة خوف: «وهل تنوي أن ترميني؟».

كانت تقصد أن تهمس بهذا، لكن المذياع الموصول بقميصها كان يلتقط كل حرف.

تمتم: «ليس هذه المرة».

وغطى رده بشيء من الضحك، ثم أنزلها بحذر على حافة المنصة.. كانت أصابع قدميها تغوص بيأس داخل حذائها.. وحدها يده التي لا تزال على كتفها، كانت تمنعها من الإغماء.

في الواقع، ليست هذه فكرة سيئة..

تمتم في أذنها: «عدّي حتى ثلاثة.. ولا تنسي أن تصرخي».

* * *

٣ ـ ظل الصيف

راقب نيل رومانا وهي تطير . . كانت قفزة رائعة .

كان يجب أن يعرف أن الخدعة للكاميرا . . لم يتأكد من هذا إلى أن أخرجت المرآة وأحمر الشفاه لكن يديها كانتا ثابتتين مثل الصخرة، وهذا جزء من التمثيلية .

لكن ما نسيته، كان الصرخة التي تجفف الدم .

فتح أحدهم زجاجة مرطبات وقدم لها كأساً . . ولم تجرؤ رومانا أن ترفع الكأس إلى فمها . . إذ كان من الممكن أن يضرب بأسنانها المصطكة . أمسكته بقوة بينما كان الناس يشجّعون قافزاً آخر .

للحظة، ظنت أنها ستكون على ما يرام . لكن ما إن قفز المتباري التالي حتى عادت معدتها تعيش التجربة كلها . ودفعت الكأس إلى يد الشخص الواقف قربها وركضت لتتمكن من التقيؤ بعيداً عن الناس .

بعد أن غسلت وجهها، ونظفت فمها بالماء، أدركت أن هاتفها الذي تركته على الكرسي في وقت سابق، أخذ يرن .

ـ رومانا كلايبورن .

وكان المتكلم مولي، التي سألت: «هل أنت بخير؟ لقد جئنا بجهاز تلفزيون إلى هنا وحين رأيتك تقفزين تساءلت . . » .

ـ عما إذا أخطأت بتناول الفطور؟ . . صدقيني كانت غلطة .

ـ هل يطالب الجميع باستعادة مالهم؟

وكانت لا تزال ترتجف .

ـ لن ألومهم . فأنا لم أستطع حتى إصدار صرخة محترمة . .

ـ لا تقلقي . . لقد بدوت عظيمة . . والمزاح كان مقنعاً جداً . ولا أعتقد أن أحداً خمن كم كنت خائفة حقاً . . لا أستطيع تصور كيف ستصعدين إلى هناك في السنة القادمة . . إلا إذا استطعت التفكير بشيء يجعل ذلك السيد يخلع قميصه . . وسأكفله بنفسي .

جف حلق رومانا للفكرة . . ولحسن الحظ، تعالى دق حاد على الباب أنقذها من التعليق .

نادت: «الباب مفتوح» .

واستدارت لترى الرجل الذي تتكلم عنه عاقد الحاجبين .

وسألته: «جئت لتدفع؟» .

وسرعان ما ندمت على قولها ساعة وضع الشيك إلى جانب مرآتها وأحمر الشفاه على الطاولة .

ـ هذا كرم كبير منك . . شكراً لك .

هز كتفه قليلاً وكأنما دون اكتراث: «لا تدعيني أقاطع مخابرتك» .

ـ أوه إنها مولي . . لقد شاهدت القفزة، وتحاول التفكير بطريقة لتتويجها . يبدو أنها تعتقد أنك ستكون وسيماً من دون قميص .

وهاجمتها مساعدتها بصراخ مهذب، فأكملت: «لماذا لا تتكلم بالأمر معها؟» .

وأعطته هاتفها: «وستحتاج إلى عنوانك كي تستطيع أن تحجز لك سيارة من أجل الليلة . . في الساعة السادسة . . ربطة عنق سوداء» .

كرر: «السادسة؟ أوليس هذا وقت مبكر للمسرح؟» .

ـ أنا أعمل، ولست أمرح . وأقوم بكل الترتيبات مسبقاً . وأتأكد من

أن كل شيء سيسير على ما يرام طوال الأمسية، ثم أتأكد من أن الجميع سعيد فيما بعد.

ـ وأنا أراقب؟

ـ لا أحد يصر على وجودك. أنت من يودّ مراقبتي طوال اليوم. وهو يوم سينتهي بعد منتصف الليل.

استدارت لتتجنب لعبة التحدي ولترى من منهما يستطيع التغلب على نظرة الآخر، وعرفت أنها ستخسر. ثم نظرت إلى المرآة وهي تدس أصابعها في شعرها.

وفي هذا الوقت، وبعد أن فكر بردها وفهم الرسالة، أبلغ نيل عنوانه إلى مولي.

استعادت رومانا هاتفها وأكياس المشتريات وفتحت باب المقصورة.

سأل وهو يلحق بها: «إلى أين أنت ذاهبة الآن؟».

ـ لماذا لا تأتي وترى بنفسك؟

رمقها بنظرة غريبة.. وأكملت: «أولاً سأذهب إلى البيت لأعلق فستاني. كان يمكن أن أفعل هذا قبل الآن، لكن كان علي مقابلتك.. ثم سأذهب لأصفف شعري».

وأسرعت في سيرها نحو الطريق.

ـ دون غداء؟

أحست بالغثيان للفكرة، وقالت: «لا».

ونظرت إلى ساعتها: «لا وقت.. يجب أن ننطلق».

ـ شكراً.. لكنني أعتقد أنني سأتجاوز تصفيف الشعر.

قالت مبتسمة: «قرار جيد.. سأراك في المسرح».

ـ ألا تعتقدين أن من المنطقي أكثر أن نتشارك في سيارة واحدة؟

نتشارك؟ العمل معه سيكون صعباً بما يكفي، ولا تنوي تمديد الوقت الذي يمضيانه معاً.

ـ هل أسبابك اقتصادية أو بيئية؟

ـ لا هذه ولا تلك. لقد فكرت ببساطة أن بإمكانك إعلامي حول هذه الأمسية ونحن في الطريق إلى المسرح.. وبالمناسبة، لقد قمت بعرض رائع لتوك.. لقد كدت تخدعينني.

ولم تكن واثقة إن كان يعني تظاهرها بالخوف أم عرضها الذي غطى على ذعرها الشديد.

وردت: «كدت أخدعك فقط؟».

ـ كم مرة قفزت من قبل؟

ابتسمت وتوقفت لتستدير وتستدعي سيارة أجرة..

قالت وهي تصعد إلى السيارة: «سأراك في المسرح يا نيل».

وأقفلت الباب بحزم خلفها.

نظرت رومانا إلى نفسها في المرآة، وإلى الرداء الأحمر الذي ارتدته وعبثاً راحت تفتش في مظهرها عمّا سبب توتر نيل ماكاولي.

يستحيل أن يكون غاضباً لمجرد حادثة القهوة تلك، فقد كانت على أي حال حادثة.

أي رجل كريم الأخلاق كان على الأقل سيسمح لها أن تعتذر، قبل أن يتركها ويبتعد.

لكنه ليس لطيفاً.. لقد كان سريعاً في التملص من الدعاية.. وسريعاً في الدفع كذلك.. فحين يكون المرء ثرياً، يسهل عليه هذا النوع من الكرم. ولطالما كان والدها سريعاً في توقيع الشيكات في المناسبات والأعياد، في وقت لم تكن تريد فيه سوى أن يحتضنها، ويقول لها إنه يحبها. ولم يبدُ يوماً أنه قادر على أمر بمثل هذه الصعوبة.

www.elromancia.com

ظهر جورج الحلاق في المرآة خلفها، وقال: «ها قد أتى اليوم العظيم يا رومانا».

ـ بل اليوم السيء.

أولاً القفز، ثم قصة الشعر. فكيف يمكن ليوم أن يكون أكثر سوءاً؟

ـ ما من تضحية أكبر من هذه الدعاية للمخزن.

قصة الشعر كانت جزءاً من أسبوع الدعاية للمخزن، ولقد خطط لها منذ أشهر.. فهذه دعاية لصالونه.

وتردد الحلاق خوفاً من أن يكون في وقت لاحق سبب دموع المرارة والندم.

ـ هل أنت واثقة حقاً؟ يجب أن أحذرك أن صديقاتك قد يعجبهن..

ـ عظيم.. فهن صاحبات التأثير الأكبر.. فلنفعل هذا.

مع ذلك تردد.

ـ هيا جورج.. ليس لدي اليوم بطوله.

ـ هل تدركين أن الرجال قد يكرهونه؟

ـ ومن لديه وقت للرجال؟

ـ أصدقاء.. معارف.. والدك؟

ـ ما عدت مدللة أبي منذ بلغت الرابعة.

منذ وجدت أمها شاباً أجمل وصاحب لقب...

ـ أي رجل التقيته يوماً، إذن. أي رجل رأى صورتك في مقالات الشائعات.. لا بد أنك تعرفين أن نصف رجال لندن يحبون شعرك وسيرغبون في إعدامي..

ـ وما هو الألم البسيط أمام نشر صورتك في الصحف؟ بحق السماء جورج إنه مجرد شعر.. قصه.

وللمرة الثانية ذلك اليوم، أغمضت عينيها.

نظر نيل ماكاولي إلى الواجهة الضخمة لشركة كلايبورن وفاراداي التي كانت يوماً مؤسسة خدمات غذائية فاخرة للأرستقراطيين ثم توسعت لتصبح أفضل الأملاك في لندن.

كان جوردن مهووساً بفكرة الاستيلاء على البناء من أجل كرامة العائلة. لكن تفكير برام كان يتجه اتجاهاً منطقياً أكثر.. ألا وهو حماية حقوق فاراداي في وجه القوانين الجديدة.

إلا أن اتفاقاً جديداً أكثر إنصافاً، وضع حداً للعقلية العدائية التي سادت بين الجيل الأكبر سناً، منذ انتقلت ادارة المخزن من فاراداي إلى كلايبورن. وقد حصل هذا في وقت كانت فيه الحركة النسائية تزداد قوة فتوقعت والدة جوردن أن يؤخذ مطلبها بجدية. ولم يسامح جوردن أبداً پيتر كلايبورن لإبعادها ولقد كبر جوردن وهو يصغي إلى شكواها.

رغبة نيل في المطالبة «بالأسهم الذهبية»، لم يكن لها دخل بالعواطف.. وروما نا كلايبورن على صواب. فهو يرغب في السيطرة كي يكونوا في وضع يسمح لهم بتحويل الممتلكات إلى سيولة، وإعادة استثمار المال في شيء أقل عرضة لتقلبات الذوق العام.. فقد كان قسم المبيع بالمفرق حقل ألغام.

توقف عند المدخل وراح ينظر حوله. أربع سنوات مرت منذ دخل المتجر آخر مرة.

كان يومها مع لويز يختار الآنية الخزفية، والملاءات، ويجول في المكان، يسجل لائحة لوازم العرس. وكان قد ترك القرار لها.. فسيكون هذا منزلها، ويريدها أن تختار ما تريده. وكل ما أراد فعله، هو أن يراقبها، أن يكون معها، أن يرى وجهها الجميل وهي تسأله رأيه.

واكتأب للذكرى.. فتلك السعادة ولّت منذ زمن، وستكون هذه

www.liilas-romancia.com

فرصته الأخيرة ليدخل المتجر ويرى ما تغير فيه.. فبعد يوم الغد سيعرف الجميع من هو.

ومن الأفضل أن يستعد قدر المستطاع. وبما أنه لم يتناول الغداء، سيبدأ بتفحص المطعم.

مدت رومانا يدها آلياً، وأجفلت حين وجدت الفراغ مكان شعرها.

أعطتها مولي سندويشاً جاءت به معها.

ـ كلي هذا وتوقفي عن التذمر يا رومانا.. شعرك يبدو رائعاً.. جورج عبقري.

ـ أعرف.. وسأعتاد عليه، على الأرجح.. كيف تجري الأمور في المسرح؟

ـ استرخي.. البرنامج مكتمل والزهور وصلت، ومقدمو الطعام والشراب مستعدون. وما من أحد ألغى الحجز.. كل شيء يسير على ما يرام.

ـ هذه الكلمات تجمّد الدم في عروقي.

ـ أنت تقلقين كثيراً. صدقاً.. كل شيء منظم بإتقان.. بالمناسبة لقد رأيت رجلك الضخم في قسم بيع الطعام حين جئتك بالسندويش.

عبست رومانا: «رجلي الضخم؟ منذ متى لدي رجل ضخم؟».

فردت مولي: «حسن جداً.. ليس ضخماً كثيراً.. لكنه طويل القامة، وفاتن.. ولو كان يراقبني كظلي، لما كان الآن يتناول الطعام وحده».

ـ ماذا؟ هل تقولين إن نيل ماكاولي في المخزن؟

ـ أجل.. لقد افترضت أنكما جئتما إلى هنا معاً.. ألم تعرفي أنه هنا؟

ـ لا.. لم أكن أعرف.. المحتال.. هل رآك؟

ـ لا أظن هذا. كان يتحدث على هاتفه النقال.. وبعد أن اتهمتني بأنني فتنت به، لم يعد بإمكاني أن أتقدم منه وأسأل ما إذا كان يستمتع بالغداء أم لا.. قد يكون فاتناً، لكنك على صواب.. إنه رهيب بعض الشيء. وليس من النوع الذي يمكن أن تلوحي له في مطعم بعد معرفة قصيرة.

ـ أنا لن ألوح له ولو كنت أغرق.. استدعي رجال الأمن أرجوك يا مولي.

بدا الرعب على مولي: «هل ستطلبين رميه إلى الخارج؟».

ـ بالطبع لا.. بل أريد ببساطة أن أعرف ماذا ينوي أن يفعل.

أنبأها حدسها بأنه لا بدّ يجمع لائحة النقاط السوداء التي تشوب عائلة كلايبورن. وأنه يغتنم فرصة عدم معرفة أحد به، ليجول في المكان لوحده.. وهذا بالضبط ما كانت ستفعله لو كانت مكانه. لكنها لن تترك شيئاً للمصادفة.

ـ أريد أن أعرف إلى أي مكان يذهب.. مع من يتكلم، إلى ماذا يتطلع.. أريد تقريراً كاملاً على مكتبي صباح الغد.

* * *

تفحص نيل كل شيء... المطاعم، والمقاهي، وكل ما تم استحداثه كزاوية بيع المشروبات اليابانية التي أدهشته بعدد روّادها.

تناول غداءه المتأخر في مقهى صغير لأنه وجده أقل إثارة من الخيارات المتوفرة. ولقد أعطاه ستة على عشرة، وكان كريماً بذلك.

ترك المطعم، وبدأ جولة في المخزن.. لم يتغير منذ إعادة

www.elromancia.com

الإصلاح في بداية القرن العشرين. ولا يزال غارقاً في فخامة الخشب والسجاد الأحمر اللون الذي يميز المتجر كعلامة فارقة.

لكن قسم خدمة الزبائن كان يبدو أكثر شباباً.

لا بد أن أسرة كلايبورن تفعل الصواب، ولن يحب جوردن سماع هذا. فهو يريد فقط أن يعرف ما يرتكبونه من أخطاء.

لاحظ لأول مرة أنه «ملاحق» وهو يجول في قسم الكتب.

بدا له هذا القسم فاخراً جداً والكتب باهظة الثمن، ما يمنعه من منافسة المكتبات الجديدة بمقاهيها وأسعارها.

فاجأها بعد أن توقف ليسجل ملاحظة واستدارت المرأة التي كانت تلحق به بسرعة، ما لفت انتباهه إليها.

كان قد رأى مساعدة رومانا تدخل المقهى بسرعة.. ولم تعر وجوده أي انتباه. وافترض أنها لم تره.

عندما ترجّلت رومانا كلايبورن من سيارة الأجرة مثقلة بكومة أكياس، كانت تنتعل حذاءً عالي الكعبين وترتدي تنورة قصيرة جداً بالنسبة لامرأة جدية. أما شعرها فكان يتطاير في كل اتجاه. وكان أول انطباع له أنها لا تتردد في استخدام فتنتها لتحصل على ما تريد.

ولا يشك لحظة أنها تحصل على ما تريد عادة.

مغربة أم لا، فقد أرسلت تحرياً من المخزن ليراقب نيل، ويتأكد مما يريد.. وهذا يلزمه بعض الشجاعة.. ونظر إلى ساعته، ثم اتجه إلى المخرج، وهو مصمم أن يعمل ساعتين قبل موعد الحفلة.

لكنه في الواقع، لا يستطيع تركها تنجو بفعلتها وتظن أنها تفوقه حيلة.

كانت رومانا على وشك المغادرة حين لحقت مولي بها قرب المصعد.

- لا أستطيع التوقف..

- يجب أن تعرفي بهذه.

وأعطتها كيساً خمري اللون يحمل اسم كلايبورن وفاراداي.

- ما هذا؟

- التحرية الخاصة التي أرسلتها لمراقبة ظلّك جاءت بهذا إلى المقهى. السيد ماكاولي طلب منها أن تعطيك إيّاه وتبلغك تحياته.

تأوهت: «وهل عرف بأمرها؟».

- على ما يبدو.

وابتسمت: «هذا غير مضحك يا مولي».

لكن ضحكتها أشارت إلى العكس.. وفتحت رومانا الكيس لتجد داخله قارورة عطر جديدة تحمل اسم «ظل الصيف».

قالت مولي: «أحب الرجل الذي يتمتع بحسّ الفكاهة، وأنت؟».

ردت رومانا بحدة: «هذا ليس حساً بالفكاهة... هذه».

وكادت تقول «سخرية» لكن الأمر أكثر وقاحة، وأكملت: «استهزاء».

شد نيل حزامه، ثم التقط ربطة عنقه.. كانت لويز تمازحه وتقول له بأنه تزوجها لأنه لا يستطيع ربطها بنفسه.

أربع سنوات. لقد رحلت منذ أربع سنوات شعر خلالها أن حياته فارغة خاوية.

التقط الإطار الفضي الثقيل الموضوع على طاولة الزينة، ولامس بخفة الوجه الجميل المبتسم.. سمراء أرستقراطية.. على عكس رومانا كلايبورن.

وفجأة، وجد عيني رومانا الزرقاوين تتطفلان بينهما.. ولوهلة لم

www.elromancia.com

يعد يستطع معرفة الفارق بينهما.

ثبتت رومانا السلسلة البلاتينية حول عنقها، والأزرار المماثلة على كمي القميص.. بساطتها ستكون مغايرة للماس الذي سترتديه صاحبة الجلالة للحفلة.. ولا جدوى أبداً من المنافسة.

كان فستانها بسيطاً كذلك، فالليلة ستعمل من وراء الكواليس وتتأكد من الأمور تسير على ما يرام، بينما تحتل أنديا الصدارة. مع ذلك، يجب أن تبدو أنيقة.

هل نيل على حق؟ هل يجب أن ترتدي زياً من تصميمهم الخاص؟ الأمر أسهل بكثير بالنسبة للرجال. سترة متقنة التفصيل، وقميص منشى، هذا كل ما يلزم. حتى أنه يمكنهم أن يلبسوا البذلة ذاتها والقميص ذاته لسنوات، وما من أحد سيلاحظ.. مع ذلك..

لقد عملت جاهدة لبناء صورة جميلة وجديدة للمخزن، ولا يزال أمامها الكثير لتفعله. وكم سيؤلمها أن تخسر كل شيء... لا، لن تسمح بذلك.

التقطت العطر الذي أرسله نيل لها، وتساءلت عما إذا كانت قد استهانت بالرجل. ليس على صعيد الذكاء، فهي لا تشك مطلقاً بذكائه. لكن، هل من الممكن أن يكون بارعاً في مسائل البيع بالمفرق؟

رشت العطر على معصميها. كان بارداً مثل نيل ماكاولي.. ووجدت نفسها تبتسم.. فمهما كان الرجل فهو ليس رخيصاً.

وليس بارداً على الدوام.. وتذكرت كم أحست بالدفء والأمان عندما كانت ذراعه حولها. وكيف أنها، وللحظة، نسيت أنها خائفة حتى الموت.

رنين جرس الباب أعادها إلى الواقع. ورمت زجاجة العطر كأنها أحرقتها.. غير مصدقة أنها استخدمتها، فنيل ماكاولي هو العدو الذي

يتآمر ليستولي على شركة كلايبورن وفاراداي بنفسه.. التقطت وشاحها وحقيبة يدها، واتجهت إلى الباب، وهي تقول بصوت مرتفع: «لن يحدث هذا مطلقاً؟».

***

www.elromancia.com

٤ ـ شقيقتان ولكن . . .

اجتاز نيل الرصيف حيث احتشدت وسائل الإعلام، من دون أن يلحظه أحد، فقد وصل باكراً جداً بالنسبة إلى شخص مهم.

دخل المسرح المزيّن بالزهور فرأى رومانا كلايبورن تعطي التوجيهات لوضع منصة العرض.

كانت ترتدي فستاناً كحلياً بسيطاً، يحتضن جسمها بكل أناقة وبساطة. وهو من النوع الذي يجعل أي رجل يتشوق لوضع يده عليه.

بعد أن عاش نيل وحيداً منذ موت المرأة التي أحبها، صدمه تجاوبه مع رومانا كلايبورن وسحرها.

ولم يكن ذلك بسبب الفستان الكحلي فقط، بل بسبب شعرها الذي لفت اهتمامه أيضاً. . فقد حلّ مكان الشعر الكثيف، البرّي، مجموعة من الخصل الصغيرة تحيط بوجهها ويُتوجها تاج مصنوع من النجوم الفضية، فبدت أشبه بملكة أفريقية.

هكذا تحولت من شقراء مذهلة إلى أكثر النساء جمالاً. . امرأة تسلب ألباب الرجال وعقولهم.

تراجع خطوة إلى الوراء. . وكأن الفكرة تهدده بطريقة ما. . كيف هذا؟ ليس لديه قلب يخسره. لقد أعطاه دون تحفظات للمرأة الوحيدة التي أحبها وسيحبها أبداً.

بدا له أن العمّال فقدوا رشدهم إزاء جمال رومانا، وكانوا يتصادمون ببعضهم البعض لإرضائها.

بقي مكانه يراقبها تديرهم. وطوال الوقت، كانت لطيفة فاتنة، مبتسمة.

مرة أخرى، أحس بنزاع داخله. أتراها فقط تستخدم أنوثتها لتحصل على مبتغاها أو أنها ساحرة بطبيعتها؟ وفضّل أن يفكر في الاحتمال الأول.

انضم إليها وقال: «مساء الخير يا رومانا».

فاستدارت رومانا: «أوه. . نيل. . لقد وصلت».

وعرف من حدّة صوتها، واحمرار خديها، أنها عرفت بوجوده لحظة وصل. واقشعر جسمه فجأة.

وأكملت: «في الوقت الذي انتهى فيه العمل الشاق تماماً».

وفضحتها حدتها. . الجاذبية متبادلة. . وشعر بإحساس غريب. . .

ـ بالعكس، لقد راقبت العمل بكل اهتمام مثلك.

ورفع حاجبيه متحدياً إيّاها أن تقول إنها فعلت أكثر من إدارة العمل: «وهذا ما يفترض بي أن أفعل، أليس كذلك؟ المراقبة. ولو احتجت إلى عامل آخر. .».

رفعت يدها، توقفه عن الكلام. . كانت تضع في معصمها سواراً مماثلاً للعقد الذي يلفّ عنقها.

ـ لقد أوضحت وجهة نظرك نيل. أنت هنا لتراقب، لا لتشارك.

نظرت إليه لحظة وكأنها ترى من خلاله وتقرأ أفكاره. . ثم أشارت إلى منصة العرض.

ـ إذن. . راقب.

وكم كان هذا صعباً!

وجد صعوبة في إبعاد نظره عنها. وراح يتأمل صور المشاريع التي سيدعمها الأسبوع الخيري.. والأولاد السعداء الذين يساعدهم.

ـ مؤثر جداً.

وراقبها وهي تمد يدها لتعدّل صورة كادت تقع، وأكمل: «وعلاقات عامة فعالة جداً».

ـ كم أنت ساخر يا نيل.

ـ وهل أنا مخطىء؟

بدت وكأنها ستقول له كم هو مخطىء.. لكنها قالت: «لا.. بالطبع لا».

وكان من الأفضل له أن يسمع ما كانت تفكر فيه فعلاً.. وسأل: «ماذا تفعلين في بقية أيام السنة؟ أتصور أن قفزة واحدة في الهواء دعاية مهمة ولكن...».

التفتت إليه ورمقته بنظرة سريعة.

فرأى مرة أخرى بصيص خوف في عينيها سرعان ما تلاشى... لا، لن تخدعه مرة أخرى.

أضافت: «أنت على صواب.. ليست السنة كلها احتفالات وتألق».

أنهت تسوية الصورة، وتراجعت إلى الوراء لتنظر إليها بإعجاب ثم استدارت ونظرت إليه بابتسامة دلت على أنها تخطت خوفها تماماً.

ـ أنا آسفة جداً نيل.. لقد نسيت أن أشكرك على العطر.. أنا..

قاطعها بسرعة قبل أن تقول شيئاً مغضباً.. أو تتهمه مجدداً بالسخرية: «يسرّني أنك استلمته».

أنهت كلامها: «أنا أضع منه الليلة».

وإذ رفعت يدها، لتعرض عليه معصمها النحيل، لمع سوارها

بإغواء وهو ينزلق إلى الخلف.

كان قد اشترى العطر لأجل اسمه، وإذا به الآن يتوق لأن يمسك معصمها ويرفعه إلى وجهه، ويلامسه بشفتيه.. ويتشوق لمعانقتها...

أتراها قررت إغواءه، أم أن هذا سحر طبيعي فيها؟

أياً يكن، لن يسمح لها بأن تفكر في أنه ساذج، وقال: «لم يكن هذا ضرورياً. في الواقع أصرت البائعة على أن العطر هو للنهار.. فهل كانت مخطئة؟ أم غير كفؤة فقط؟».

إن كان يأمل أن يثير أعصابها بانتقاده موظفي المخزن، وأن يتركها تمد يدها دون أن يشم العطر، فقد فشل. قطبت جبينها لكن ليس بسبب الانزعاج، وقالت: «أتسمح؟».

ودون سماع رده، مدت يدها إلى ربطة عنقه تعدّل وضعها، وتثبتها في مكانها بأرقّ اللمسات.

فأثارت هذه الإيماءة الحميمة ذكريات مرّة حلوة عن لويز وإحساساً حاداً بالذنب لم يكن يشعر بمثله منذ دقائق... في الواقع لم يكن يشعر بشيء إلاّ برومانا كلايبورن..

تراجعت إلى الوراء قليلاً، وقالت: «هكذا أفضل.. حتى المراقب يجب أن يكون مكتملاً في كل التفاصيل».

ثم رفعت رأسها وأجابت على سؤاله: «أنا واثقة من أن البائعة كانت تعرف تماماً عمّا تتكلم.. فأنا عادة لا أضع عطراً عندما أقصد المسرح.. لا شيء أسوأ من الجلوس قرب شخص يضع عطراً قوياً.. أليس كذلك؟ لكن هذا عطر خفيف».

ورفعت معصمها تتفحصه بنفسها.

ـ إنه غير كريه.. مطلقاً.

لكنها لم تعرض عليه معصمها مرة أخرى طلباً لرأيه.

www.elromancia.com

كان قد خطر بباله، متأخراً، أن العطر هدية شخصية قد تشعر بالإهانة لتلقّيها. وبالتأكيد لم يكن يتوقع منها أن تضعه. أما الآن، وقد أعاد أفكاره إلى الواقع، قال: «لم يكن في نيتي إغضابك».

ردت بوقار: «أحسنت إذن. لقد نجحت».

وبدت على فمها التواءة خفيفة كادت تفضحها.

الفتاة اللعينة كانت تحاول إزعاجه بالمزاح.. ولا تزال.

ـ رومانا..

والتفتت بسرعة نحو شقيقتها التي وصلت لتنقذها من الرد، وتعطيه وقتاً يلتقط فيه أنفاسه.

ـ يبدو كل شيء رائعاً.

ـ أجل.. لقد قامت مولي بعمل رائع.. أنديا، دعيني أقدم لك نيل فاراداي ماكاولي؟ لقد بدأ المهمة الشاقة بمراقبتي كظلي، كما ترين.

كانت انديا كلايبورن على عكس رومانا تماماً، أطول منها قامة، وشعرها أسود قصير أملس. واستدارت نحوه بابتسامة باردة، ومدت يدها لتصافحه.

ـ أنت متحمس جداً سيد ماكاولي.

وبالرغم من الابتسامة المهذبة، لم تستطع إخفاء الحدة في صوتها.

رد عليها: «ما كنت لأصف الأمر هكذا آنسة كلايبورن. لقد شرحت لي رومانا أن عملها ليس محصوراً بدوام عمل ما بين التاسعة والخامسة، وأنا أحاول جهدي أن أكون منصفاً».

قالت بصوت هش: «ما من واحدة منا تعمل من التاسعة إلى الخامسة، كما ستكتشف أنت وشريكاك إذا استطعتم الاستمرار معنا».

واستدارت نحو شخص استرعى اهتمامها.

راقبها لحظة قبل أن يستدير إلى رومانا ليقول: «لا تبدوان شقيقتين.. إنها لا تشبهك أبداً».

وافقت: «مطلقاً.. فنحن من أميّن مختلفتين».

رفعت كتفيها الناعمتين في هزة غير مفهومة ثم قالت:

ـ أنا آسفة.

ـ آسفة؟ لماذا؟

ـ لأن الدماغ والتفكير لها، والشعر المنفوش وعدم السيطرة على القهوة لي.

وبهذا اختصرت أول انطباع أخذه عنها. وأزعجه أنها استطاعت قراءة أفكاره بسهولة.

ـ لكنك قصصت شعرك.

هزت كتفيها: «مجرد علاقات عامة لصالح المخزن».

ثم تابعت: «أخشى أن تكون قد اخترت الشقيقة غير المناسبة».

لاحظ لهجة مزاح في صوتها.. ولكن هل تشعر صغرى بنات كلايبورن بأن شقيقتها الذكية الجميلة متفوقة عليها؟

ـ لا أعتقد هذا. فأنا واثق أن من الأفضل ترك انديا لجوردن.. فأنا لا أريد أن يفوتني كل هذا المرح.

نظرت إليه مذهولة: «مرح؟».

ـ أليس القصد من هذا المرح؟

وابتسم. ليست الوحيدة القادرة على المزاح. لكن المدهش في الأمر أنه كان يظن أنه نسي الضحك.

* * *

تراجعت رومانا في مقعد السيارة متنهدة.

ـ انتهى يوم.. وبقي أمامنا خمسة.

www.elromancia.com

- وهل كنت قلقة؟

نظرت إلى نيل وهو يقفل حزام مقعده: «وهل تمزح؟ ليس لديك فكرة عن عدد الأمور التي يمكن أن تحدث بشكل خاطىء».

- مثل وصول سيارة بدلاً من اثنتين.

كان الأوان قد فات لتندم على ذلك، ولأنها اتخذت قراراً بإيصاله أولاً وأومأت إلى السائق برأسها: «إلى سبيتفيلد، أرجوك».

ومع انطلاق السيارة، سألت: «هل تسكن هناك منذ زمن؟».

- منذ أربع سنوات تقريباً.

- لم أكن أتوقع هذا. كنت أظنك تعيش في أحد تلك المنازل الأنيقة في شارع كينغز رود ربما.. أو في أي مكان عدا «هذا المكان الصاخب».

هز كتفيه: «إنه مكان مناسب للمدينة، والمطاعم فيه جيدة. وأنا عضو في مجلس تنمية المنطقة».

انتبه إلى نظرتها المرتابة، فأكمل: «لم يعد «جاك السفاح» يعيش هناك».

وحاولت أن تتذكر ما تعرفه عن سبيتفيلد ثم أضافت: «أوه.. أنت تعيش في أحد منازل تجار الحرير القديمة؟».

كانت قد شاهدت برنامجاً تلفزيونياً عن إعادة إحياء المنطقة: «أظن أن تلك المنازل تعود إلى القرن الثامن عشر أليس كذلك؟».

- كان المنزل مهجوراً حين اشتريته، وما زال إصلاحه جارياً.

هز كتفيه: «لكن بصراحة من دون تقدم كبير... كانت لويز جزءاً من مجموعة عمل لإعادة ترميم المنازل، ومن دونها...».

وصمت. وكأن ما قاله يفسر كل شيء.

- لويز؟ كانت زوجتك؟

- أجل. كانت مؤرخة معمارية، التقينا بينما كانت مجموعتها تحاول جمع المال لشراء المنزل وإصلاحه.. فاشتريته.

نظرت إليه: «هكذا؟».

- بدا لي استثماراً جيداً.

- أوه.. فهمت.

- وأردت أن أمنح لويز لذة إصلاحه وإعادته إلى مجده السابق. وبما أنني المالك، كنت أزوره في أي وقت.

- أوه.. فهمت.. وقعت في حبها.

- من النظرة الأولى. وبعد سنة قدمت لها المنزل كهدية زواج.

- قبل اكتمال الإصلاح؟

- لم أستطع الانتظار طويلاً.

- أوه.. لكن هذا..

نظر إليها بحدة، وكانت على وشك أن تقول «رومانسي» لكنها منعت نفسها في الوقت المناسب، وأكملت: «أنا آسفة».

عبس: «على ماذا؟».

- لأنني افترضت أنك مطلق.. فإذا كنت لا تزال تعيش في المنزل الذي أعطيته لها، فهذا غير صحيح.

وأحست بترددده، فأكملت: «أنا آسفة.. هذا ليس من شأني».

أغمض عينيه لوقت قصير، وكأن الذكرى لا تزال تؤلمه، ثم قال: «لا داعي للاعتذار.. لقد ماتت منذ أربع سنوات».

ولم تسأل، لكنه أخبرها على أي حال. ربما لأنه سئم الصمت، وأراد أن يبوح بسره.

- كنا في المحيط الهندي، وخدشت ساقها بصخر مرجاني حين أخذتها معي على مركب شراعي، للغوص تحت الماء.

رفع يديه في إيماءة عجز: «مجرد خدش.. هذا كل شيء.. لكنها ماتت بعد أسبوع».

ابتلعت رومانا ريقها: «أنا آسفة».

وراحت تفكر... حصلت الحادثة منذ أربع سنوات وعاش في المنزل أربع سنوات. لقد اشتراه من أجل لويز كهدية عرس، كانا إذن في شهر العسل.

قال: «لهذا السبب لم أستطع إكمال المنزل، ولا بد أنها حزينة حيث هي لأنني لم أنجز ما بدأته».

- لا!

من دون تفكير، مدت رومانا يدها ولامست ذراعه: «لا.. حقاً. لا بد أنه كان من الصعب جداً عليك تقبّل ما حصل، وأنا واثقة أنها ستفهم».

وبدا أن هذا يسليه: «حقاً؟ لقد ذكرتني انديا بها الليلة كثيراً... لون البشرة نفسه والعيون السوداء ذاتها والشعر عينه».

وصمت لينظر إليها. لكنها لم ترَ أثراً للعذاب الذي تصوّرته وكأنه اتخذ قراراً بكتم مشاعره ودفنها، وأضاف: «والصراحة ذاتها».

وإذ أدركت أنها تهوّرت وقدمت له عزاءً يبدو أنه ليس بحاجة إليه، انتزعت رومانا يدها.

- في هذه الحالة، أتمنى ألاّ تلاحقك في منامك.. وإلا فأنت في ورطة كبيرة.

وأدركت متأخرة أن إشارتها هذه كانت آخر ما يقلقها. فلسانها المتهور هو المشكلة دائماً.

- أوه.. سأصمت الآن.

- لا.. لا تصمتي. أخبريني عن الغد، ما المفاجأة التي تخبئينها لي؟

- حسن جداً، هذا هو أسبوع حظك. في الغد سنبدأ بزيارة منتجع لذوي الإعاقات كنا قد موّلناه في السنة الماضية، إنه الافتتاح الرسمي. صور ولقاء مع الصحافة، صور للأولاد السعداء تعرض على شبكة الانترنيت.

- والجميع يرتدي قمصان كلايبورن وفاراداي، لا شك في هذا.

- بالطبع.. هذا ضروري للعلاقات العامة، لا تنسَ أن تحضر قميصك.

في الواقع تفضل انديا بكل تأكيد لو يبقى مجهولاً، فما من أحد سينزعج من رجل متكبر في بذلة، يراقب من بعيد.

قالت: «هذا إذا قررت أن تأتي.. فالأمر ليس إلزامياً».

سأل: «وبعد الظهر؟».

- مزاد علني في المخزن على أغراض صغيرة للمشاهير... كرة قدم موقع عليها من الفرق الأولى، ألبسة داخلية لنجوم السينما، وما شابه. أنت تعرف نوعية هذه الأشياء.. ولو نجح الأمر فسيكون المزاد كمستشفى المجانين.

- ستفهمين إذاً، لو تركت دفتر شيكاتي في البيت؟

- لقد كنت أكثر من كريم حتى الآن يا نيل، وأعدك بأن يتم صرف المال بشكل جيد وسترى ذلك بنفسك، صباح الغد.

ولم يعلق، بل سأل: «وفي المساء؟».

- في المساء..

يا للسماء! لا يمكنه أن ينضمّ إلى التسلية المقررة للمساء، وأكملت بسرعة: «لا شيء.. إلى البيت مباشرة، لأرفع قدميّ، وأنام أمام التلفزيون، وبإمكانك أنت أن تكمل عملك في منزلك..!».

وإذ أدركت وقاحتها، غطت فمها بكلتي يديها.

www.elromancia.com

مد يده إلى معصمها، ليزيح يدها.

ـ أخبريني رومانا..

ـ نعم؟

ـ هل أنت جائعة؟

ـ جائعة؟

إنه آخر سؤال توقعته.

ـ أنت تعملين منذ الساعة السادسة، وتحرصين على أن يكون الجميع مرتاحاً... وكان الطعام وافراً. لكنني لم أرك تأكلين شيئاً، وفاتك الغداء.

وبدت على وجهه دلالة ابتسام، لعل هذا بسبب أضواء الشارع الذي يمران به..

ـ وتساءلت عما إذا كنت جائعة.

قال السائق: «وصلنا إلى سبيتفيلد، سيدي».

وقال بشيء من التردد: «ربما... ربما تودين رؤية المنزل؟ وتناول العشاء».

ـ لكن الوقت متأخر.. والسائق..

ـ أنا واثق من أنه سيرحّب بساعة عمل إضافي.. إذا كانت الميزانية تسمح؟

كانت على وشك أن ترفض، فهي متعبة ولا رغبة لها في تناول الطعام مع نيل ماكاولي.. لكن عليها أن تستغل أي فرصة لتزيد معرفتها به، فأمامها تحدٍّ كبير في مسألة نجاح عائلة «كلايبورن». ولا يمكنها أن تستسلم لمصرفي لا ينبض قلبه سوى لدفتر الحسابات.

وأجفلت من الصورة. صحيح أنه بارد، لكنه لم يكن هكذا دوماً، وعليها أن تفهم ما الذي يمكن أن يقنعه بترك الأمور على حالها.

نظرت إلى السائق: «هل يمكنك العودة بعد ساعة؟».

قال: «أجل.. سيدتي».

صعد نيل السلالم أمامها وفتح الباب الأمامي، ثم أضاء النور وتنحى جانباً لتدخل. كان الخشب في الردهة مدهوناً بلون أخضر أكل الدهر عليه وشرب ومزيّناً بصور زهور وأوراق شجر.. أصبحت باهتة، لكنها لا تزال جميلة.

سألت بذهول: «هل هذه أصلية؟».

ـ أجل. ولحسن الحظ كانت مغطاة، وثمة غرفة في الطابق الأعلى كذلك، حيث وجدنا الديكور الأصلي تحت ورق جدران قديم. سأعرّفك على المنزل فيما بعد، لكننا سنأكل أولاً، تعالي إلى المطبخ.. المكان دافىء هناك.

أشار إلى كنبة قديمة مستندة إلى جدار المطبخ. وقد فاجأتها بساطة المكان كثيراً.

ـ تصرفي وكأنك في بيتك.. ارفعي قدميك وسأحضر حساءً من أفضل مصنوعات شركتنا.

* * *

سأل جوردن: «كيف كان أول يوم لك مع رومانا كلايبورن؟».

تثاءب نيل: «طويل، ومثير للاهتمام».

ـ وهل أمضيت الأمسية معها؟

ـ ضمن نطاق العمل فقط.

ونظر نيل إلى الصورة الموضوعة على الطاولة ورأى وجه لويز الجميل يبتسم له.

لقد انتهى العمل لحظة توقفت السيارة أمام منزله.. منزل لويز الذي لم يدعُ إليه يوماً امرأة أخرى لترتاح على كنبتها، وتأكل في

www.elromancia.com

أطباقها.

لكن رومانا بدت شاحبة متعبة، وكان متأكداً من أنها لن تأكل حين تصل إلى منزلها. بالطبع، قد يكون في منزلها من يحضر لها فنجان شاي ساخناً وشيئاً تأكله، لكن قبولها دعوته ينفي هذا الاحتمال.

أو ربما كانت تستفيد من الفرصة لتؤثر فيه.. فهذا ما كان سيفعله مكانها... لكن هذا غير صحيح.. لأنه لم يشأ أن تنتهي تلك الأمسية.

حدق في صورة لويز، محاولاً إبعاد صورة رومانا التي تدخلت بينهما، وشعر بالذنب لأن ذكرى لويز كانت تخمد شيئاً فشيئاً داخله. ثم وضع الصورة من يده، عاجزاً عن تحمل ما بدا له الآن نوعاً من التأنيب.

سأل جوردن: «هل كنت في الحفل الخيري؟ لقد سمعت عنه في أخبار المساء، ولم أرك مع من تقدموا لمصافحة الملكة».

- ولا رومانا.. كانت وراء الكواليس، تتأكد من أن كل شيء يسير كالساعة.

دس نيل سماعة الهاتف تحت أذنه وهو يفك قميصه.

- وكنت إلى جانبها.. أراقب.

- وماذا جرى؟

- لقد كانت أمسية ناجحة جداً، منظمة جداً ومسلية جداً، ليست رومانا كلايبورن مشوشة الذهن كما تبدو.

قال جوردن: «أمر مؤسف».

- لا.. المؤسف أنك لم تكن هناك أيضاً.. فقد بدت انديا مديرة تنفيذية بامتياز.

وشد ربطة عنقه ليفكها، فنفاح منها العطر الذي كانت رومانا تضعه. ورفع الربطة إلى وجهه يشتمّها، متذكراً الطريقة التي مدت بها

معصمها إليه، متذكراً الطريقة التي أحس بها بيدها في يده حين أبعدها عن فمها بعد أن زلّ لسانها.. وأكمل مستفزاً: «كان يجب أن تكون إلى جانبها».

قال جوردن بحدة: «يجب أن تنتظر، انديا كلايبورن.. ماذا ستفعل غداً؟».

كشّر نيل للهاتف: «سأكون في ملعب للأطفال».

أما مكان ذلك الملعب، فهو لا يدري. فقد أغفلت رومانا عن ذكره له. ويجب أن يتصل بالمخزن أولاً، ويسأل مولي أن ترسل له برنامج ما تبقى من الأسبوع.. لديه عمل خاص يجب أن يتدبر أمره.

وأكمل: «المراقبة ليست مراجعة أرصدة واجتماعات».

ثم غير الموضوع: «لقد ألقيت نظرة على المتجر بعد ظهر اليوم.. أنت على حق.. يحتاج إلى إصلاح وإعادة تنظيم شاملة».

تلهى جوردن ونسي أمر الملعب: «بالطبع. كان بيتر كلايبورن يعيش في الماضي.. والأسوأ، أنه كان يهمل المستقبل».

قال نيل محذراً: «ربما كان يعرف أكثر مما تظن.. وسيكون هذا عملاً مكلفاً جداً».

- التقدم لا يكون رخيصاً أبداً.. أخبرني بكل جديد.

* * *

www.elromancia.com

٥ ـ رجل الظل

عندما تخطّت السيارة زحمة السير، سألت انديا: «حسناً، أخبريني عن نيل ماكاولي.. كيف هو؟».

كيف هو؟ طوال الليل، كانت رومانا تصارع انطباعاتها المشوشة عن هذا الرجل... إنه بارد... ذكي، ساخر، يعتقد أنه يجب رؤية النساء دون سماعهن.. هو رجل يسلب قلب أي امرأة دون أن يجهد نفسه.. رجل سيسعدها جداً أن تجعله يركع، وتجبره أن يعترف أنها ندّ له.. كانت واثقة جداً من أنها أوقعت به، وإذا به فجأة يخبرها عن زوجته.

سألت انديا: «عمّ يبحث؟».

ـ ماذا؟ أوه..

كانت رومانا واثقة من شيء واحد وهو أن نيل ليس مهتماً بإدارة المتاجر... وإذ رغبت بتغيير الموضوع، قالت: «أرجوك انديا! أبقي عينيك على الطريق.. وخففي السرعة!».

نظرت انديا إليها: «ما بك هذا الصباح؟».

ـ لم أنم جيداً ليلة الأمس.. هذا كل شيء.

نظرت إليها انديا مرة أخرى، وهذه المرة بإشفاق، وقالت: «أنا لم أنم جيداً منذ أخبرنا المحامون بمسألة «الأسهم الذهبية» تلك.. لذا أخبريني ماذا حدث ليلة أمس».

ـ ليلة أمس؟ لم يحدث شيء ليلة أمس!

وإذ استدارت أختها بسرعة نحوها، أدركت رومانا أنها قالت هذا بسرعة كبيرة وتركيز شديد.

وأكملت: «كنت فقط متعبة جداً ولم أستطع أن أنام.. أو متوترة ربما. أمضيت الليل كله أتذكر تلك اللحظة التي قفزت فيها في الفضاء، وكيف تأرجحت صعوداً ونزولاً».

وأحست بالغثيان لمجرد التفكير بالمسألة. وهذا ما أفادها في اختصار الحقيقة.

ـ ما كنت مضطرة لفعل هذا يا رومانا.

ـ ألم أكن مضطرة؟

وهزت كتفيها بعدم اكتراث: «ربما لا.. مع ذلك فقد ظهرت في كل الصحف هذا الصباح، حتى الصحف الرئيسية».

ـ لقد رأيتها.. لكانت صوراً رائعة لو لم يضع ماكاولي ذراعه حول كتفيك، وذلك العنوان العريض «كلايبورن وفاراداي يقفزان للمرح».. بماذا كنت تفكرين؟

ـ ظننت أنني سأؤثر عليه بمهاراتي في العلاقات العامة.. وكما قلتِ، كان ذلك خبر الصحف الأساسي.

ـ لقد أثبت الخبر التكهنات حول عائلة فاراداي. لقد لفت الأنظار إليهم، وأنا لا أريد سماع ذلك الاسم رومانا.. وبالتأكيد لا أريد قراءته.

حاولت رومانا الاستخفاف بالأمر، وإبعاد ما أحسّت به حين وقف إلى جانبها ولفّها بذراعه.

ـ هذا صعب.. لأنه مكتوب على الباب الأمامي.

ـ لن يطول الأمر.. ما إن ينتهي هذا الهراء، حتى أعيد تسمية

www.elromancia.com

المتجر وأغير علامته المسجلة، إلى كلايبورن.. هو اسم واضح.. مفعم بالحيوية.. وعصري.. ما رأيك؟

نظرت رومانا إلى وجه شقيقتها المصمم وأدركت أنها فكرت في كل شيء.. وعلى الأرجح كانت تعمل على هذا منذ سنوات.. لا عجب إذن أن يجنّ جنونها من جوردن فاراداي الذي يحاول أن يكون حجر عثرة في طريقها.

وردت بحذر: «أعتقد أنه يجب ألاّ تفكري حتى بالأمر، فكيف عن قوله جهاراً. هل أخبرت أحداً بالأمر؟».

ـ لا.. فالأمر بينك وبيني حتى الآن.

وفضّلت رومانا لو لم تعرف بذلك: «أعتقد أن عليك أن تنسي الموضوع إلى أن تصبحي واثقة من تحقيقه. وصدقيني، لو عرف جوردن فاراداي بما تخططين له..».

ولم تعتقد أنها بحاجة إلى تفسير، لكن شقيقتها بدت عازمة، فأكملت: «عديني انديا».

ـ حسن جداً! لكن أبعديهم عن الأخبار.

ـ سأقوم بما في وسعي.

لقد أمضت أسابيع تحضر الدعايات لتسلّط الأضواء على المتجر خلال الأسبوع الخيري. وسيكون رجال فاراداي أغبياء إذا لم يستغلوا المناسبة لمصلحتهم. هي لا تعرف شيئاً عن ابني عمه. لكنها واثقة تماماً من أن نيل ماكاولي ليس غبياً.

رفعت انديا يدها عن المقود في حركة اعتذار.

ـ المتجر أكثر أهمية من بعض العداوات العائلية الغبية، التي تشتعل منذ مئة وخمسين سنة، وأنا آمل أن نجعل أسرة فاراداي تفهم أن من الأفضل ترك الأمور على حالها.

ـ هذا مُستبعد إذا اكتشفوا أنك تخططين لنزع اسمهم من فوق الباب الأمامي.

ـ لو انتهى بنا الأمر إلى المحاكم، سنتمكن على الأقل من إظهار أننا كفؤات، ناجحات، وتقدميات في تفكيرنا.

ـ الكفاءة ليست مشكلة.. أما النجاح..

وهزت كتفيها: «يعي نيل تماماً أن المبيعات لم تكن ناشطة تماماً في السنتين الماضيتين. أما بالنسبة للفكر التقدمي..».

بعد أن ترك والدهن أمر إدارة المتجر لأنديا منذ سنوات، رفض خطط التحديث التي قدمتها، مصراً على أن جاذبية المتجر تكمن في طابعه العتيق، وهذا بكل تأكيد مشجع للسياح. لكنهم يديرون متجراً لا موقعاً تاريخياً.

قالت أنديا بحدة، تفضح توترها: «لست بحاجة إلى تذكيري بنيل ماكاولي. احرصي فقط على أن يرى فينا فريقاً لا يُهزم».

ـ سأحاول بكل تأكيد.

وظنت رومانا أن من الأفضل ألا تذكر أنها نامت على الكنبة في مطبخه الدافىء وهو يسخّن الحساء ويسرد عليها تاريخ منزله، وأنه أيقظها فقط حين عادت السيارة لتأخذها إلى منزلها.

واستيقظت من نوم عميق، غير واثقة أين هي. وأول ما رأته كان وجهه وهو يميل فوقها، وأحست بيده على كتفها.

وللحظة، رأت شخصاً مختلفاً عن ذلك الرجل البارد الصارم، الذي كان يلاحق خطواتها طوال اليوم... شخصاً قد تُعجب به.. بل أكثر من الإعجاب.

وتنهدت رومانا فنظرت إليها شقيقتها: «ماذا؟».

ـ لا شيء..

على الأقل لن تضطر إلى مواجهته هذا الصباح. فهي لم تخبره أين يقع ملعب الأطفال الذي سيفتتحونه، وهو لم يسأل... لعله لا يحبّذ أن يلحق به الأطفال... رجل حذق.

فكرت بهذا بينما كانت انديا تركن السيارة في الموقف، بين مجموعة من السيارات الفاخرة. على الأقل، وصل الضيوف في الوقت المحدد.

ربما لن يحضر نيل إلى المزاد العلني أيضاً. فهو لم يبدُ متأثراً كثيراً بالفكرة، ولا بد أن لديه أعمال كثيرة عليه إنجازها، فلا يمكنه أن يمضي وقته كلّه وهو يلاحقها. وهذا أمر مريح، لكنه لم يكن كذلك فعلاً، وبشكل غريب. ملاحظاته الحادة كانت تعطي حياتها معنىً آخر.

تركت انديا تتحدث إلى مجموعة من المشاهير واتجهت إلى المبنى الخشبي الكبير الذي كان في ذلك اليوم يعجّ بكميات من البضائع المجانية، بما فيها القمصان التي يكرهها نيل كثيراً.

كانت مولي هناك مع بعض من موظفيها، تتأكد من أن أعلام الشركة معلّقة جيداً، وأن الشعار مستقيم وكانت قد استعانت ببعض الأشخاص لتعليق البالونات ومن بينهم نيل ماكاولي..

ـ نيل.. لم أتوقع رؤيتك هنا.

ـ أنا هنا منذ العاشرة والنصف.. وهو حسب الجدول، الوقت الذي يجب أن تصلي فيه.

قالت مولي: «اللوم على انديا».

ومن خلف ظهر نيل غمزت رومانا: «إنها سائقة رزينة، لا تتخطى سرعة الخمسين، حتى على الطرق الرئيسية».

قاومت رومانا رغبتها في الضحك... ولم تدرِ إن كان هذا بسبب كذبة مولي المبالغ فيها أم لمنظر نيل وهو يرتدي بنطلون جينز وقميص

كلايبورن وفاراداي.

سألت: «الجدول؟ أي جدول؟ أنا لم أعطك حتى عنوان الملعب. ولا أعتقد أنك سألت».

كانت تأمل أن تتجنبه هذا الصباح.. ولم يلمها على هذا. لكن هذه اللعبة كانت تُلعب لتكسب ولا ينوي أن يتأخر عنها.

ـ لقد اتصلت بمكتبك باكراً. ولم أجدك.

وانتظر ردها، وحين لم تقل شيئاً، أكمل: «لا بدّ أنك أطلت السهر في الأمس».

وكأن هذا يفسر تأخيرها.

احمرت وجنتاها بلون زهري ساحر، وقالت: «المعلوماتك كنت عند السابعة والنصف صباحاً، أتأكد من أن كل شيء على ما يرام لعرض..».

وصمتت، مرتعبة للكذبة التي تفوهت بها لتوها، وأنهت كلامها بضعف: «الأزياء».

سأل: «هل هو عرض أزياء الزفاف وشهر العسل؟ لقد حضرت لي مولي لائحة بنشاطات الأسبوع.. فخلافاً لما يبدو، لدي عمل وعليّ تنظيم مواعيدي لتتناسب مع مواعيدك».

قالت: «أنا آسفة».

في الواقع، لم يكن من شيء آخر تستطيع قوله، فقد كذبت، وأدركت أنه اكتشف كذبها.

ـ أنا لم أظن حقاً أنك ستودّ أن تأتي.

ـ لا؟

وعرف نيل بالضبط فيما تفكر.. كانت بالطبع تعني له شيئاً لأنه تخلّى عن فطور إداري وألغى اجتماعاً من المفترض أن يستمر طوال فترة

www.elromancia.com

الصباح لكي يتمكن من الحضور.. كان قد أقنع نفسه أن مصالح أسرة فاراداي تفرض عليه مراقبة رومانا كلايبورن عن كثب. ومنذ وقعت عيناه عليها، وجد هذه المهمة مستحيلة.

قالت: «لقد فكرت فقط..».

أسكتها قبل أن تقول له لماذا قررت ألاّ تدعوه لحضور عرض الأزياء:

ـ أخبريني.. هل حظيتِ بأكثر من ساعة النوم التي انتزعتها في منزلي؟

فغرت مولي فاها لما سمعته، فسارعت رومانا إلى تغيير الموضوع.

وكان ردها الوحيد: «أحد بالوناتك يطير!».

ثم أمسكت مولي من ذراعها وجرتها بعيداً وهي تهمس لها: «لا تقولي كلمة».

وفتحت مولي فمها.

ـ ولا كلمة! لقد نمت على الكنبة عنده، هذا كل شيء. كان الأمر بريئاً وبسيطاً، لذا بإمكانك أن تريحي بالك.. لقد كان مجرد رجل مثير للشفقة.

رأت أن مولي ستنفجر إذا لم تقل ما يجول ببالها، فقالت: «بحق الله.. تكلمي قبل أن تنفجري».

ـ لدي سؤال واحد.

ـ تفضلي؟

ـ ماذا كنت تفعلين على كنبته؟

أطل نيل من الباب: «فريق عمل تلفزيوني يبحث عنك.. وباص مليء بالأولاد وصل لتوه وفكرت أنك على الأرجح تريدين معرفة هذا».

تمتمت مولي: «أنقذك الباص..».

ـ أحضري القمصان.

سأل نيل: «هل أستطيع المساعدة؟».

لم تتأثر رومانا فقد أظهر نواياه الحقيقية وتعرف الآن أن انطباعها الأول عن الرجل كان مصيباً.. وتلهفه الآن هو لمجرد أن يراها تقع في الشرك أمامه مرة أخرى، وهذه المرة أمام كاميرات التلفزيون.

ـ اكتفِ بما جئت من أجله يا نيل.. راقب وتعلم.. وابقَ بعيداً عنّي وأنا أقوم بعملي.

ولم تنتظر الرد، بل ذهبت بحثاً عن فريق التلفزيون لتقول لهم بأن يلتقطوا صوراً للأطفال السعداء ولأنديا وهي تقص الشريط لافتتاح الملعب.

وكأن هذا لا يكفي.. فقد كان عليها كذلك أن تتأكد من أن لا يصوروا أحداً من عائلة فاراداي.

وجد نيل أن من الأفضل له أن يشغل نفسه بمساعدة الأولاد على ارتداء القمصان، لكنه لم يستطع إبعاد نظره عن رومانا وهي ترد على أسئلة الصحفيين وتقدم لهم أنديا وأحد المشاهير المحليين.. كانت تقوم بمجموعة من الأشياء دفعة واحدة من دون أن يبدو عليها الارتباك ومن دون أن تتوتر إطلاقاً.

وسواء أكان هذا هدوءاً حقيقياً، أم ادعاءً فالأمر مؤثر.

شدت طفلة بنطلون نيل تسترعي انتباهه، فانحنى لمساعدتها على ارتداء قميصها.

قالت مولي وهي تمرر له القمصان: «أخبرتني رومانا أنها نامت على الكنبة في مطبخك».

ـ وهل أشارت إلى شيء آخر؟

ـ أعتقد أنك تعرف تماماً، ويجب أن أقول إنك خيبت أملي. لقد أملت بأكثر من هذا حين تدبرت أمر ذهابكما معاً.

وفكرت مولي في أن الكثير من الرجال يتنافسون للحصول على شرف إيصالها إلى منزلها، أو حتى أخذها إلى أي مكان تريده.

قال بحزم: «علاقتنا علاقة عمل بحتة مولي».

وتجاهل الذكرى المغرية لبشرة رومانا تحت أصابعه.. وحلاوتها وهي تحاول التخفيف عنه لما حصل للويز.

لفّت الطفلة ذراعيها حول عنقه وقالت مولي: «لقد قالت رومانا هذا أيضاً.. ولا يجب أن يكون الأمر هكذا.. شخصياً، أعتقد أنك يجب أن تدعوها إلى الغداء لتعوض عن نقص كياستك هذا الصباح».

رد عليها: «وشخصياً، أعتقد أنها ستقول لي ما أنعله بالغداء».

لكن الفكرة كانت جذابة.

ـ على أي حال، لو حجزت لنا طاولة في «ويسترن آرمز» سأرى إذا ما كنت قادراً على إقناعها.

ـ اعتبر هذا منجزاً.

في تلك اللحظات، كانت رومانا مشغولة بتثبيت الشريط لأجل الافتتاح الرسمي.. وكأنما أحست بنظرته، رفعت بصرها إليه.

على الرغم من أنها لجمت نفسها لئلا تنظر في اتجاهه، كانت تجد نظرتها تنجذب نحو نيل وهو يشجع الأولاد، ويراقبهم.

لم يكن مطلقاً ذلك الرجل القاسي وهو يتحدث مع مقدمي الطعام، ويقدم المساعدة حسب الحاجة. ولم تغفل عنها الطريقة التي كان يلفت فيها أنظار كل الحاضرات.

ولو كان الوضع مختلفاً، لنظرت إليه بالطريقة نفسها.

ـ رومانا..

واستدارت عندما أمسك أحدهم ذراعها.

ـ لدينا مشكلة في المطبخ.

ـ أي نوع من المشاكل؟

ونظرت نحو نيل.. كان مصور مجلة المشاهير يتسلّل خلسة نحوه، وتحركت لتوقفه.

ـ من النوع الذي لا ينتظر.

تقدم الصحفي وقال: «سيد فاراداي. أود أن ألتقط لك صورة مع الأولاد، إذا كنت لا تمانع».

نظر نيل نحو رومانا، متوقعاً أن تضع حداً لفرصة التصوير هذه. لكنها كانت قد اختفت.

قال: «بالتأكيد».

ركعت رومانا على المياه المتسرّبة وهي في مزاج يسمح لها بقتل عامل التمديدات الصحية.

ـ لا أصدق هذا!

كانت حنفية الماء زلقة ولم تستطع الإمساك بها.. والفتاة الغبية التي طلبت منها قطعة قماش، هربت ولم تعد.. خلعت رومانا قميصها بائسة واستخدمته.. وبدأت المياه تخف بالتدريج..

وصاحت: «فليساعدني أحد.. هل توقف تسرّب الماء؟».

ـ متاعب؟

وكتمت شتيمة عندما ركع نيل إلى جانبها: «لا.. فأنا أفعل هذا لأمرح».

ـ أوه.. حسن جداً..

وهمّ بالذهاب: «سأتركك تلهين إذن..».

ـ لا!

ومدت يدها تمسك معصمه الدافىء لتبقيه إلى جانبها: «أنا آسفة.. لم أكن أقصد أن أرد بحدة. لقد خرجت الحنفية من مكانها».

الهدوء المفاجىء أكد لها على الأقل أن الماء توقف عن التسرب في المطبخ.. وأدركت أنها كانت تمسك معصمه كامرأة تغرق وتتمسك بخشبة النجاة.

ـ نيل.. بشأن ليلة أمس...

وتوقعت أن يقول: انسي الأمر، كنت متعبة، أو شيء كهذا. لكنه لم يقل كلمة، وأكملت: «ما كان يجب أن أصيح في وجهك حين وصلت، كنت فقط.. حسناً.. أحسست..».

ـ بالحرج؟

ـ أجل.. فأنا عادة لا أنام حين يدعوني أحد للعشاء.

ـ أنا واثق من أنك كنت متعبة.

وكان يمكن لرده أن يفي بالمراد لو لم يقصد به أنها تمرح أكثر مما تعمل.

ردت مدافعة: «لقد عملت ساعات طويلة».

ولأن من المفترض أن يكون هذا اعتذاراً، حاولت مرة أخرى.

ـ وما كان يجب أن أكذب حول عرض الأزياء. فأنا لم أكن أعتقد أنك تريد أن..

وتلعثمت. كان من الأسهل أن تقول بالضبط ما تفكر فيه.

ـ أريد أن أراقبك في عرض للأزياء؟

ـ لا.. على الأقل ليس هذا العرض.. لم أرغب أن..

ـ أتذكر الماضي؟

ـ لا أعتقد أن الماضي قد ولى أليس كذلك؟

ـ لا.. هل كنت تعرفين أنك تشخرين؟ بنعومة، مثل الهرة..

انتزعت يدها إلى الوراء، لتكشف عن قميصها المبلل فوق الحنفية، وسألت مغيّرة الموضوع:

ـ ما خطب الحنفيات؟ هل يسعد عمال التمديدات الصحية في شدّها حتى لا تعود تتحرك.. أم أنهم يفعلون هذا لكي يتصل بهم الناس لتسوية الأعطال؟

قال: «يبدو أن هذا عمل محترف لو كنت عاملة تمديدات».

وقف وراح يبحث عن ممسحة.

وعندما وقفت بدورها قال: «اخلعي هذه الثياب المبللة».

ـ بحق السماء نيل.. قليل من الماء لن يقتلني.

وبدأت تفتح الخزائن تساعده في البحث عن ممسحة.

قال: «هاك.. خذي هذه».

خلع قميصه وأعطاها إياه.

قالت: «أنت تضخّم الأمر».

وقاومت الرغبة في لفّ القميص الذي كان يرتديه حول جسمها.

ـ أنا لا أضخم الأمور.. ثقي بي رومانا. أنت حقاً بحاجة إلى خلع هذه الثياب المبللة.. والآن.

أعطاها القميص وقادها باتجاه غرفة الملابس.

ـ لكن..

ـ لكن لا شيء.. قد لا أعرف الكثير عن العلاقات العامة، لكن يمكنك أن تتركيني أهتم بمسح الماء.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ ناعمة ومغرية

امتعضت رومانا بعمق من تحكّم نيل. لكن لم يكن لديها وقت لتجادله، فأخذت القميص واتجهت إلى غرفة السيدات.

ثم استدارت لتواجه صورتها المنعكسة في المرآة.

كان قميصها الحريري الأبيض مبللاً وشفافاً. كذلك كانت ملابسها تحته..

عرفت أنها يجب أن تكون ممتنة لأن نيل لم يتركها حتى تتفاجأ بصورتها في المجلات.. فالمصور ما كان ليترك مثل هذه الفرصة تفوته.

خلعت ثيابها المبللة ووضعتها في حقيبتها، ثم جففت جسمها وشعرها وارتدت قميص نيل.

أحست بنعومته ودفئه على بشرتها، وبرائحة عطره تسكرها.. ولكن لم يكن لديها وقت للتفكير بنيل ماكاولي فمقدمو الطعام بحاجة إلى المطبخ. لذا فتحت الباب واستعدت للعمل.

لكن هذا لم يكن ضرورياً، فقد قام نيل باللازم وجفف الأرض. تمتمت بشيء مبهم من بين أسنانها.

فسألها: «ما رأيك؟».

ـ لقد قمت بعمل عظيم، وشكراً لك.

ـ بكل سرور.

ـ لا أشك في هذا.

لم تكن خجولة في العادة، لكنها تمنت حقاً لو لم تقل هذا.. ونظرت حولها متجنبة عينيه، وتابعت بسرعة: «لست أدري أين اختفت عاملات مولي».

ابتسم قائلاً: «ربما لم يرغبن في أن تتبلل أقدامهن».

نظرت إلى عينيه مباشرة: «وأنت معتاد على هذا؟».

ـ أنت سيدة خطرة.

لكنه كان يبتسم وهو يقول هذا.

ردت بحدة: «نحن ثلاث سيدات خطرات.. حذّر شركاءك... والآن من الأفضل أن أذهب وأبلّغ مقدمي الطعام أن المطبخ آمن».

ـ انتظري ريثما أصلح الحنفية.

ـ وهل تستطيع ذلك؟

ـ راقبي وتعلمي.

قال ذلك مكرراً النصيحة التي أسدتها له إيّاها.

وتابع: «تتعلمين بسرعة حين تعيشين في منزل قديم، فهناك دائماً شيء يتكسر في يدك».

ـ هذا صحيح.

ودست شعرها خلف أذنيها: «حسن جداً.. من الأفضل أن أذهب وأتأكد من أن كل شيء على ما يرام».

عندما استدارت نحو الباب، كان قد انحنى فوق المغسلة. لكنها لم تستطع ترك الأمر هكذا، فقالت مجدداً: «شكراً للمساعدة».

استقام نيل، وقد اختفى كل أثر للابتسام: «وماذا توقعت يا رومانا؟ أن أبقى مكتوف اليدين أسجل الملاحظات؟ أو أن أعطيك علامة على

www.elromancia.com

طريقة تعاملك مع الموقف؟ وأن أنقص لك العلامات على الكلمات النابية؟».

بدت مصدومة لرده الغاضب: «بالطبع لا!».

وكان هو مصدوماً كذلك، لأنها ظنته بارداً إلى هذا الحد. فهو لم يعتد أن يكون بارداً.

وأكملت: «لم أكن أقصد..».

ـ حقاً؟ هؤلاء الأولاد أهم بكثير من خلافاتنا المؤسفة.. بل أهم من إصلاح أعطال التمديدات.

وكان يعني ما يقول.. لكن ذلك لم يغير شيئاً.

ـ وبالطبع، لو حدث هذا في المخزن..

وهز كتفيه ثم أضاف: «.. سأكون أقل ميلاً لتجاوز المسألة».

ـ هكذا إذن.. لماذا لست مع فريق من المراقبين تتفحصون سجلات الصيانة؟ ولماذا أنت هنا في ملعب صغير ومحلي جداً، لأولاد ذوي إعاقات؟

كانت محقة.. فهو لا يتعلم شيئاً عن إدارة المؤسسات هنا. لكنه يتعلم أموراً كثيرة عن رومانا كلايبورن لا يودّ جوردن أن يسمعها.

نظرت انديا إلى نبل ماكاولي الذي كان يتكلم مع مولي، وقالت: «رومانا.. يجب أن أعود إلى المدينة.. لأمور قانونية..».

ثم سألت: «أتظنين أنه تأثر؟».

ـ تأثر؟

ومد يده يلامس ذراع مولي، ويبتسم وهو يودعها. وأحست رومانا بطعنة غيرة حادة.

ـ رومانا؟

ـ ماذا؟ أوه..

وحاولت أن تستفيق من تلك الأفكار المحرمة.

ـ من غير المحتمل أن يقول هذا.. أليس كذلك؟

قالت انديا وهي تصعد إلى سيارتها: «أعتقد هذا».

ورفع نيل نظره، وكأنه أحس أن هناك من يتكلم عنه.. ثم اتجه نحوهما.

قالت انديا: «راقبيه جيداً رومانا. كان يتكلم مع ذلك المصور من مجلة المشاهير لحظة أدرت له ظهرك».

وانضم نيل إليها بينما اقلعت انديا بسيارتها متجهة نحو الطريق الرئيسية.. وقال: «ستحتاجين إلى من يقلّك إلى المدينة».

ـ سأذهب مع مولي.

ـ لقد توقعت هذا. لكن، لا مكان لديها في السيارة. لذا طلبت مني أن أوصلك، قالت إنها ستراك في المزاد.

تأوهت رومانا ونظرت إلى ساعتها: «متى تستطيع الوصول إلى المدينة؟».

قال: «عليَّ أولاً أن أتأكد من حصولك على غداء جيد».

وجدت أن مساعدتها أصبحت مستبدة كثيراً.. فقد عرفت أن حديث مولي مع نيل كان عنها.

ـ شكراً أيها الرجل الظل.. لكنني فتاة كبيرة، لذا ثق بأني أعرف كيف أستخدم السكين والشوكة. وأظن أن مصرفك يحتاجك أكثر مني في الوقت الحاضر.

ـ لقد أنجزت عمل يوم كامل هذا الصباح.. والمصرفي مثل مدير العلاقات العامة، يجب أن يأكل.

ـ لكنني حقاً أحتاج لأن أعود إلى العمل.

ـ لدي تعليمات. أوصلك.. وأدعوك إلى الغداء.. وأعتذر.

www.elromancia.com

ـ تعتذر؟ لماذا؟

قال: «يبدو أنني فشلت في الكياسة هذا الصباح».

وإذ رآها تحمل حقيبتها، أكمل: «دعينا نذهب إذن».

ثم، وكأنما وخطرت له فكرة أخرى، أعطاها المفاتيح.

ـ ربما يجب أن تقودي بنفسك.

ـ لماذا؟

ـ الظل لا يعمل عادةً.

هذا الرجل لم يكن يوماً هكذا. الطريقة التي تولى فيها كارثة المطبخ، أظهرت حقيقته.

أجابت: «لا يمكنني قيادة سيارتك الجميلة فليس لدي تأمين».

ـ ليس لديك سيارة؟

وعندما فتح لها الباب مرت بجانبه ففاح منها ذلك العطر الذي اشتراه لها.

اشتد حزام الأمان على صدرها مما زاد من إبرازه تحت القميص الواسع، ولم يستطع إلا أن يتذكر مظهرها في قميصها المبتل الشفاف.

وفكر: إنها امرأة بكل ما في الكلمة من معنى.. حناياها ناعمة ومغرية.. وحريرية...

أدرك أنها تنظر إليه، وكأنها تنتظر رداً على شيء قالته.

ـ آسف.. ماذا قلت؟

ـ قلت إن اقتناء سيارة ليس إلزامياً.

ـ إلزامياً؟

وذهل للطريقة التي تدور فيها أفكاره.. وكأن لويز لم تكن موجودة يوماً.

ـ لكنني افترضت أنك تلقيت سيارة صغيرة أنيقة من والدك كهدية

عيد ميلادك السابع عشر... سيارة صغيرة بلون أحمر الشفاه الزهري.

كانت تبدو رائعة بأحمر الشفاه الزهري الذي لم تلمسه منذ وصلت هذا الصباح... لكنه اكتشف أن مثل هذه الأفكار لا تساعده أبداً.

ـ هل هذا ما تظنه؟ لقد حصلت على الحرية لعيد ميلادي السادس عشر وعلى سيارة لعيد ميلادي السابع عشر، وعلى سهرة خارج المنزل للثامن عشر.

ـ لم أقل ذلك.

لكنه ألمح إليه.. وما كان يجب أن يدخل في هذا الحديث، وما كان يجب أن يأتي اليوم.. فهذا لا دخل له بالعمل.

ـ حسن جداً.. كما تقولين.. الأمر ليس إلزامياً.

ـ بالطبع لدي رخصة سوق في مكان ما. وأنت على حق بشأن السيارة.. إلاّ أنها كانت حمراء، وليست زهرية.. لكنني عشت في لندن طوال حياتي، والقيادة في المدينة تسبب لي التوتر.

ـ هل تقولين إنك أعدتها إليه؟

ـ لا.. بالطبع. فهذا أمر فظ. لقد أعطيتها لشخص يحتاج حقاً إلى سيارة.

نظر إليها.. لديها تلك الموهبة في أن تقول وتفعل أشياء تجعله ينظر إليها: «ولم يعترض والدك؟».

ـ ولماذا يعترض؟ كانت سيارتي.

ومررت أصابعها في شعرها محاولة ترتيبه وأكملت: «لم يقل شيئاً ولا أعتقد أنه لاحظ».

لم تكن تفكر حقاً بما تقول.. لكنه شعر بأنها كشفت جزءاً صغيراً جداً من حياتها الخاصة.. وشك في أنها قصدت هذا، ولم يضغط عليها أكثر، فهو لا يريد أن يتورط معها على هذا المستوى.. ولا على

أي مستوى. فهو هنا للعمل ولا شيء سوى العمل.

ـ أين نحن ذاهبان؟

رد نيل: «إلى مطعم «ويستون آرمز»».

ـ أتعني ذلك المكان قرب النهر؟

ـ بالضبط.

ـ لا.. أنظر إلى مظهرنا.

وأطلقت فجأة ضحكة ناعمة تذيب الثلج المتجمد.

ومسحت يدها على بنطلونها: «وانظر إلى هذه الأشياء الحقيرة!».

حاول جاهداً ألاّ ينظر.. لكنه فشل. كان القماش الرقيق قد جف بسرعة، لكنه أصبح الآن مجعداً وبدا متسخاً جداً.

ـ وشعري.

ـ لا يبدو لي مختلفاً.

لكن ذلك ليس صحيحاً فشعرها الذي سرّحته لدى المزيّن الليلة السابقة، تجعّد نتيجة نومها على الكنبة وتبللها في المطبخ.

ـ إنسَ الأمر نيل.. لن يدعونا نقترب حتى من الباب الأمامي.

ـ ربما أنت على حق.

تناول الغداء في مطعم رومانسي إلى جانب النهر، هو آخر ما يجب أن يفكر فيه.. مولي سيدة محتالة.

ـ ما من شك في هذا.. ثم وقتي لا يسمح لي بالبقاء هنا طويلاً، والمناسبة في هذا المطعم يجب أن تأخذ حقها.

ـ حقاً؟ أنا لم أكن هنا يوماً وقت الغداء.

تسجيل نقطة عليها هنا أمر ثانوي.. لكنه لم يستطع أن يقاوم.

ـ يجب أن تأتي يوم أحد.

لا.. لن يذهب إلى «ويستون» معها الآن ولا في أي وقت آخر.

ـ ربما من الأفضل الاتصال وإلغاء الحجز.

وأشار إلى هاتف السيارة.. وبعد أن فعلت، قال: «هل لديك فكرة عن مكان نأكل فيه من دون أن نثير اشمئزاز الجميع».

ـ هناك مكان لبيع البيرغر عند المنعطف التالي.

ـ حسناً؟

ابتسمت: «أتشوق لرائحة الفطائر والمقالي».

ـ مع زجاجة مرطبات كبيرة، دون شك؟

ـ هيا خذني إلى هناك.

توقف قرب نافذة البيع، وسجل الطلبات. وبعد أن أخذا الطعام، دخل إلى موقف داخلي ليأكلا وهما في السيارة.

فتح الكيس البني وأعطى رومانا الغداء: «حسن جداً.. هذا أمر مختلف».

فتحت العلبة التي تحتوي السندويش وقالت: «لو ذهبنا إلى مطعم ويستون لالتهمت قائمة الطعام بانتظار أن تأتي الأطباق».

وقضمت طعامها بنهم واضح قائلة:

ـ إنه لذيذ جداً.

كانت جذابة تماماً.. ووجد نيل من الصعب أن ينتزع نظره عنها.

قال مقترحاً: «ربما يجب أن نجرب شيئاً متمدناً أكثر بعد عرض الأزياء؟».

نظرت إليه شذراً: «ألا تظن أنك ستكون قد سئمت مني حينذاك؟».

سأل: «ربما لديك خطط أخرى؟».

وتجنب بهذا الرد على سؤالها وعرض عليها في الوقت عينه فرصة للانسحاب.. لكنها لم تأخذ بأي من الحلّين.

ـ لا بد أنك تمزح.. ليس لدي وقت للحياة الاجتماعية هذا الأسبوع.

www.elromancia.com

ـ لن تكون مناسبة اجتماعية . . بل عمل .

ـ شكراً، فأنا لا أريد أن أغفو ليقع وجهي في الطعام .

كانت لا زالت تريد أن تعرفه بشكل أفضل، وأن تعرف إلى ماذا يسعى . . ولن يتم لها هذا في مطعم حيث يمكن له أن يبقيها على مسافة منه، جسدياً وفكرياً .

ـ في الواقع أود رؤية ما تبقى من منزلك، في وقت ما .

ـ أتقترحين أن نتناول العشاء هناك مرة أخرى؟

ـ أوه . . لا أعتقد هذا . .

ولمحت ساعة السيارة وشهقت : «يجب أن نذهب» .

وضعت بقايا الغداء في الكيس البني، ومسحت يديها بمنديل ورقي .

ـ سأتخلص من هذه .

ـ انتظري .

واستدارت لتأخذ المنديل الذي كان يمسكه . لكنه مال إلى الأمام نحوها، وأمسك مؤخرة رأسها براحة يده، ومسح زوايا فمها بلطف، ثم أدار ذقنها بأطراف أصابعه ومسح الزاوية الأخرى .

للحظة، بدت عيناه الرماديتان دافئتين وذكرتاها بتلك العينين اللتين شاهدتهما وهو يوقظها ليلة أمس . . . كتمت أنفاسها برهة وظنت أنه سيعانقها . . . وربما هذا ما كانت تريده . . لكنه بدلاً من ذلك، ترك ذقنها وأمسك المنديل بين أصابعه الطويلة النحيلة ودسه في الكيس .

نزلت رومانا متعثرة من السيارة، ورمت الكيس في أقرب سلة مهملات . . وأخذت نفساً عميقاً . . ويا ليتها لم تفعل لأن دخان السيارات ملأ رئتيها .

ظنته سيعانقها . . وهذا سيء . . لقد أرادته أن يعانقها . . بينما كان كل ما فعله هو مسح المايونيز عن وجهها . وهذه المرة الثانية ذلك اليوم

التي منعها فيها من أن تبدو غبية .

ماذا رأى في عينيها؟

انعكاس لما رأته في عينيه؟

عادت إلى السيارة، وركزت على ربط حزام الأمان، بينما أدار نيل المحرك . وعندما انطلق، قالت : «أنصح بكشف سقف السيارة» .

ـ لكننا لسنا في منتصف الصيف .

ـ لا . لكنه يوم جاف ورائع، ولا أظنك تودّ أن تفوح من سيارتك رائحة الأكل والمقالي لمدة أسبوع .

وهزت كتفيها بعدم اكتراث . . ولماذا تقلق نفسها؟

قال : «هل لديك منديل للرأس؟» .

ـ ألا تعرف أن الرجال الذين يقتنون سيارات مكشوفة يجب أن يحتفظوا بأغطية للرأس للنساء اللواتي يصعدن معهم؟

وراعها أنها تطرقت لمسألة وقحة كهذه . . ولم تنتظر أن يقول لها إن ما من نساء في حياته، بل فتحت العلبة التي بجانبها وتفحصتها، فلم تجد حتى دبوس شعر يشير إلى أن امرأة كانت في السيارة .

قالت بصوت مستهجن : «لا يوجد شيء» .

ـ مناديل أم نساء؟

حسن جداً، لا يلزم فيلسوفاً ليحلل هذا . . ثم هز كتفيه : «أعتقد أن من الأفضل أن أستخدم منقياً للهواء» .

ـ لا داعي لهذا .

وأخرجت من حقيبتها منديلاً طويلاً ولفته حول شعرها : «أنا لم أقل إني لا أحمل واحداً معي، بل أردتك فقط أن تكون مستعداً» .

رداً عليها، ضغط على الزر الذي يطوي سقف السيارة .

* * *

٧ ـ أينما تذهبين

ركوب سيارة مكشوفة جعل الحديث مستحيلاً، لكنه لم يمنعها من التفكير بذاك العناق الوشيكة وبما يعنيه.

هي تحب عملها والتوتر الذي يرافقه. إنها تعيش لهذا، ولكلايبورن وفاراداي. وهذا الرجل يحاول انتزاع كل هذا منها.. وكانت على وشك أن تدعه يعانقها؟ لا.. بل أرادته حقاً.. حقاً.. أن يعانقها. هذا الرجل مميز، إنه ينضح بالقوة وهذا ما يخيفها قليلاً.

قالت من دون مقدمات: «أنزلني عند الزاوية.. بإمكانك اختصار الطريق وتجنب زحمة السير».

ثم أكملت حين لم يرد: «سيبدأ المزاد العلني عند الساعة الرابعة، إذا كنت تستطيع تحمله. ولو أنه يسرّني جداً أن أمنحك استراحة بسبب تصرفك الجيد هذا الصباح».

وبدت ابتسامتها زائفة متوترة: «ولن أقول لأحد إذا لم تحضر».

ـ أنت لطيفة جداً.. لكنني حقاً..

وابتسم بدوره، ولكن بدا عليه أنه لن يقع في فخ مثل هذا الخداع.

ـ.. لن أقوّت المناسبة مطلقاً.

ـ لا بد أنك مجنون.. أم أنك قرأت في صحف هذا الصباح أننا نعرض في المزاد بنطلون جينز ارتدته...

وأخفضت صوتها لتتمتم باسم فنانة مثيرة معروفة جداً.

ـ ارتدته في آخر فيلم لها؟ وستكون موجودة لتعرضه؟

أضاف بكل ثقة: «الأمر لا يصدق.. لكن هذه القصة لم تُذكر في المجلات الاقتصادية».

ـ لا؟ أنا مندهشة.. هناك مال كثير يصرف على صرعات المغنين والرياضيين.

وهزت كتفيها: «لا تقلق.. حين يجمع الجينز مبلغاً خيالياً من المال ستضطر المجلات الاقتصادية للكتابة عنه».

ـ وستنالون كمية خيالية من المال في كل مرة.. أتمنى لك الحظ.

ـ لا دخل للحظ في الأمر.. يلزمه استجداء وتوسل على المدى الطويل، والكثير من العلاقات الشخصية.

ـ سأبقي هذا في ذهني لو أحسست برغبة في التورط شخصياً في مثل هذا الهراء.

ـ يجب أن تتورط شخصياً يا نيل، هذه هي الفكرة كلها.. هؤلاء الناس يعطون بكرم.. وليس من مالهم فقط، بل من وقتهم كذلك.. لأنهم يعرفونني.

ونظرت إلى ساعتها: «كما قلت، سيبدأ المزاد في الرابعة، لكنني أقترح أن تصل إلى هناك باكراً إذا أردت الحصول على مقعد.. سأترك لك بطاقة في موقف السيارات مع الموظف».

وكان من حسن الحظ أن اهتمامه في تلك اللحظة اتجه إلى عامل الموقف. ومالت فوقه لتنظر إلى الرجل.

ـ لا بأس غريغ.. فالسيد ماكاولي يعمل معي مؤقتاً. وسأتدبر له بطاقة تعريف.

هز الرجل رأسه: «آسف آنسة كلايبورن.. لم أعرفك في هذا المنديل على رأسك».

وارتفع الحاجز، ودخلا بالسيارة.

ـ إذن.. مؤقتاً فقط؟

ـ طبعاً.

وابتسمت: «دعنا نواجه الأمر.. لو تمكن أفراد أسرة فاراداي من السيطرة على المتجر، فابن عمك جوردن سيأخذ كل شيء لنفسه».

قال نيل: «لو تمكن.. ولو سيطرنا».

رفع نظره لوقت قصير نحو المبنى الضخم، وهو يأخذ حقيبة ملابس من مؤخرة السيارة.

ورن جرس هاتفه، فسبقته رومانا بينما كان هو يعالج هاتفياً بعض التفاصيل العالقة.

هزت رأسها تحيي رجل الأمن عند الباب الخلفي، واتجهت إلى مصاعد الموظفين، حيث انتظرت بينما كان نيل يذرع المكان ذهاباً وإياباً ويسهب في الشرح. واضح أن ما يشرحه كان أكثر من مجرد تفاصيل.. وجعلها هذا تتساءل مرة أخرى لماذا وافق رجال فاراداي على خطة اندیا للمراقبة في حين أن الأمر غير مناسب لهم. ألم يدركوا ما تشمله عملية إدارة مبيعات المفرق؟ فالأمر يتعدى مجرد بيع الثياب الداخلية.

سألت، حين انضم إليها أخيراً: «لقد دبرتم أمر كل شيء إذن؟».

ـ ماذا؟ أوه، أجل.

يا له من سؤال غبي!.. واضح أنهم كانوا يخططون منذ أشهر.. وربما سنوات، وسألت: «وهل ستزعج نفسك يوماً بالمجيء إلى المتجر؟».

ـ المتجر؟

وأدركت أنه لا يزال يفكر في المخابرة الهاتفية، وقال: «على

الأرجح لا، لدي أشياء أكثر أهمية هذه الأيام».

قالت: «الحمد لله أنك من الأقليات وإلا لأفلسنا».

كانت قد ظنت أنه بدأ يفهم، بعد أن أمضى وقتاً مع الأولاد.. وبدأ يدرك أن المتجر هو أكثر من عمل وليس مجرد مصدر للمال، بل مجتمع حقيقي من موظفين وزبائن.

لكن من الواضح أنها كانت تخدع نفسها.

دخلت المصعد واستدارت إليه، وهي تمسك الباب بشكل يمنعه من الانضمام إليها.

ـ أخبرني إذن، يا رجل الظل.. ما كان هدف جولتك الكبيرة يوم أمس؟ هل كنت تتفحص نظافة الرفوف؟

ـ فكرت بهذا. لكن بما أنني لا أريد أن أرمى خارجاً، قاومت الرغبة في تمرير اصبعي على أطراف الرفوف.

كان يفعل هذا في كل مرة بحيث يجعلها تكاد تجن غضباً.

سألت: «ماذا عن مبيعات المنظفات؟ أنا واثقة من أنك أملت أن تجد قليلاً منها».

حين لم يرد، وضعت يداً خلف أذنها: «آسفة.. لم أسمع الرد».

ـ أنا واثق أن كلاً من موظفيك إنسان رائع ولا يحمل سوى مصلحة المتجر في قلبه.

وكانت الابتسامة ممكنة جداً، فقد بدت في عينيه.. لكنها لم تصل إلى فمه بعد.

ـ كنت ببساطة أحاول الإحساس بالمكان.

ـ وفشلت.

ـ لم أدرك أنني أخضع لامتحان.

ـ حقاً؟ أنت تنتقدنا، لكن يجب أن نصدق ببساطة أنك قادر على

إدارة متجر لمجرد أنك تقول إنك قادر؟

ولم تترك له فرصة الرد. وعرفت ما سيكون رده.. سيقول إن الأمر لا يتعلق بإدارة المتجر، بل بالسيطرة على عمل بملايين الدولارات.

ـ حسن جداً يا نيل.. بما أن لديك نصف ساعة فراغ، أقترح عليك أن تحاول مرة أخرى بينما أستحم. لكن هذه المرة انظر إلى الناس، إلى الزبائن، إلى الموظفين. راقب الوجوه.. استمع إلى الحماسة في أصواتهم.. وحين تتحقق من رومانسية المكان ومن العامل الإنساني الذي يجعل مؤسسة كلايبورن وفارادای عظيمة، اسأل أحد موظفي المبيعات أن يتصل بمكتبي وسيوصلك أحدهم إلى الطابق الأعلى.

وصمتت قليلاً: «لكن، إذا لم يسحرك المكان، فأنصحك بأن تعود إلى حساباتك».

وأشارت إلى الهاتف الذي يحمله: «.. إنهم بحاجة إليك أكثر منا.. واترك الحياة الحقيقية للخبراء».

ـ الحياة الحقيقية..

كررت: «الحياة الحقيقية».

وبتهور مفاجيء، مالت إلى الأمام، ولامست خده بأناملها لتذكره... وتذكر نفسها ما هي الحياة الحقيقية. حرارة بشرته فاجأتها، ولدقيقة كادت تفقد السيطرة على نفسها.

وأعادت تفكيرها إلى العمل مجدداً.

ضغطت على زر المصعد وابتسمت: «في حال لم أرك مجدداً.. شكراً للغداء».

وأضافت قبل أن يقفل الباب بينهما: «كان غداء مميزاً، حقاً».

وإذ تحرك المصعد، استندت رومانا إلى الحائط ونظرت إلى السقف.. لم تكن واثقة مما حدث للتو، أو لماذا تشعر فجأة بمثل هذا

الغضب منه.

كل ما عرفته هو أنّ ما تفعله أسرة فاراداي للحصول على المتجر يثير غيظها وغضبها.

كانت تريد حقاً أن يرى نيل ما تراه، أن يشعر ما تشعر به.. وليس لأن هذا الأمر قد يحسّن من علاقة العائلتين، بل ببساطة لأنها تظن أن وقتاً طويلاً قد مرّ على دفن مشاعره.

بقي نيل في مكانه لحظة، يحاول جمع شتات أفكاره.. ويستعيد وعيه من إغواء اللمسة التي أيقظت فيه إحساساً نسي وجوده.. ولتظهر كم تغيرت وجهة نظره خلال أربع وعشرين ساعة، نحو رومانا كلايبورن.

لقد سمح لأفكاره أن تسرح اليوم، ونسي لماذا كان يصر على ملاحقة شقراء حلوة واستحوذ على تفكيره ثيابها المبللة الشفافة ودفء أناملها على خدّه.

وراح يتذكر تلك الشجاعة التي تتحلى بها، فقد بدأت تسوّي بنفسها أمر التمديدات الصحية بدلاً من اللجوء إلى أيّ كان. لكنه كان عاجزاً عن إبعاد أول انطباع أخذه عنها.. وبالتالي لم يكن يأخذها على محمل الجد بما يكفي.

في هذه الأثناء، بقيت الشقراء مركزة على هدفها ولم تُبعد عينيها مرة عنه.. حسناً، ربما مرة واحدة. في دفء مطبخه، وراحة الكنبة العتيقة، حين خلعت حذاءها ونامت كطفلة، بريئة، لا حول لها ولا قوة.

وكانت لويز تفعل هذا.

كانت تعمل في المنزل طوال النهار. وعند عودته، كان يوقظها ليتغازلا، ثم يخططا لما تبقى من حياتهما وهما يتناولان العشاء.

لقد توقع أن يقضي بقية حياته على هذا النحو. . . ها هي الذكريات تعود فجأة إلى رأسه. . . مجرد استعادة تلك اللحظة كان كافياً ليحرك في نفسه عقدة الذنب والحنين.

كانت قريبة جداً منه. لقد جلست إلى جانبه في السيارة، ونظرت إليه.

وقفت بجانبه امرأة ترتدي زي المتجر الرسمي. . وقالت في محاولة للمساعدة: «هذا مصعد خاص، يوصل إلى المكاتب فقط. ستجد المصعد المؤدي إلى المتجر هناك عند الزاوية».

هز رأسه شاكراً، وراح يفكر مجدداً. . رومانا ليست لويز، لا تشبهها أبداً. . ولن تشبهها. . وهذا ليس حدثاً اجتماعياً، وهو شيء كانت تجد صعوبة في تذكره، على عكسه هو.

لو كانت الظروف عادية، لأبقى تفكيره مركزاً تماماً. لكن هذه ليست مناسبة طبيعية، ولم تكن بكل تأكيد الطريقة التي اعتادها في العمل. . فهو عادة يقوم بأعماله عن بُعد.

عليه أن يستخدم وقته جيداً ويجد نقاط الضعف لدى الكلايبورن ويستخدمها حتى لو وصل الأمر إلى المحاكم. ولبلوغ هدفه هذا، عليه أن يجد وقائع لا أن ينجذب نحو رومانا. عليه أن ينسى أمر الرومانسية هذه الأيام ويهتم بالأرباح فقط. ربما تنام رومانا كطفلة، لكنها امرأة ذكية ولديها برنامج عمل محدد. فليكن! فهو أيضاً لديه برنامج عمل، وهو ممتن لها لتذكيره بالأولويات.

ضغط على الزر السري للمصعد وانتظر ريثما يصل.

في هذه الأثناء، خلعت رومانا حذاءها المفضل الذي بدا أنه نجا من الغرق، وسارت حافية القدمين فوق السجادة السميكة لتتفحص الرسائل الموضوعة على مكتبها. ولكن ما لبثت أن تركتها ودخلت

تستحم لتزيل عنها قذارة الصباح وتعبه. وتستمتع بغسل شعرها القصير وتجفيفه.

ثم تبرجت بسرعة وارتدت بذلتها الأنيقة قبل بدء المزاد.

الناس تتأثر بالمظاهر. فإذا بدا المرء مسيطراً على نفسه، صدّقه معظم الناس.

وحين يصعد نيل إلى المكتب، تريد أن تكون مسيطرة تماماً على نفسها وعلى ما يحيط بها، ولن تتصرف مثل فتاة صغيرة طائشة بل كامرأة محترفة. هذا هو عالمها ولم يعد الأمر مسألة كلايبورن ضد فاراداي. لقد أصبح شخصياً، ونيل ماكاولي مضطر لبذل جهد كبير لينتزع هذا منها.

وإذ كانت تثبت ساعتها إلى معصمها، لاحظت أن مهلة ساعة شارفت على الانقضاء. فقررت أن تجلس وراء مكتبها وتقرأ الرسائل ريثما يحضر. وابتسمت لصورتها المنعكسة في المرآة. بإمكانه الجلوس ومراقبتها، مثل ظلها. . .

لكن عندما فتحت باب الحمام، اكتشفت أن نيل سبقها، وقد ارتدى بذلة رمادية مخططة وقميصاً أبيض، وربطة عنق مناسبة، أما شعره فكان مبللاً. . وكان يستخدم مكتبها. . والشيء الوحيد الذي لم يستولِ عليه كان هاتفها. فقد كان يستخدم هاتفاً نقالاً. لكنها عرفت أن هذا الامتياز هو لمجرد منعها من التحقق من مكالماته. وكان يقول على الهاتف: «بعد ثلاثة أشهر، سيصبح هذا لي».

رفع رأسه بعد أن جمدت مكانها: «أخيراً. . لقد ظننت أنك غرقت».

وأقفل هاتفه.

رفضت إظهار غضبها، ولزم ابتسامتها جهد حقيقي.

ـ ما مشكلتك؟ واضح أنني لم أؤخرك. هل استخدمت حمام انديا بعد اكتشافك رقمه السري، لإثبات وجهة نظرك؟

ـ لم يكن من حاجة لذلك.. فقد أشفقت أختك علي.

ـ انديا؟ هذا غير معقول.

ـ لا.. الأخرى.. فلورا؟ لقد التقيتها وأنا أخرج من المصعد. كانت مستعجلة، لكنها تأخرت لحظة لترشدني إلى مكتبك، وبما أنك كنت ما زلت في الحمام، عرضت علي استخدام حمامها. إنها فتاة لطيفة.. منفتحة تماماً.

أوه.. يا للسماء! ماذا قالت له فلورا؟

ـ إنها ليست فتاة صغيرة.. إنها امرأة.. وذكية جداً..

ثم أضافت: «لم أكن أعلم أنها ستكون في المكتب اليوم».

ـ لقد جاءت لتأخذ بعض الأوراق التي طبعتها لها سكرتيرتها.. وقالت إنها لا تقضي وقتاً طويلاً هنا.

عظيم!

ـ ليست بحاجة لهذا، إنها ليست مديرة، بل تساعد بطريقة أخرى.

اللعنة.. هذا يبدو دفاعياً جداً.

ـ مع ذلك، لديها مكتب هنا، وسكرتيرة.. وحمام خاص بها.

وجعل اعتراضه يبدو معقولاً.. قبل أن يتابع هجومه.

ـ كم تكلف مساحة المكتب في هذا الجزء من المدينة؟ بالقدم المربع؟

كانت واثقة تماماً من أن نيل ماكاولي لا يطرح أسئلة لا يعرف الرد عليها مسبقاً.

ـ الكثير.. ولا يوجد ما يكفي. نحن دائماً نبحث عن مساحة إضافية للمبيعات.

ـ إذن، ربما يجب أن تتوقفن عن الانغماس بالفخامة.. لا تحتجن إلى كل هذا.

وأشار إلى مكتبها الشاسع بإشارة شاملة: «ولا لحمامات شخصية.. بإمكانكن نقل قسم خدمة الزبائن إلى هنا وإعطاء أنفسكن فسحة في الطابق السفلي».

اقشعرت بشرة رومانا فجأة.. أفضل الأفكار هي أبسطها. لكن، لو كان الأمر بسيطاً هكذا فلماذا لم تفكر أي منهن بالأمر؟ ربما بسبب التدابير الأمنية، لكنه أمر يمكن تخطيه... وللمرة الأولى منذ بدء هذا العمل، تساءلت عمّا إذا تمكّن رجال فاراداي من رؤية الأمور بوضوح أكثر..

ـ صحح لي إذا كنت مخطئة.. أوليس هكذا أسست أسرة فاراداي الطابق الأعلى حين كانت زمام الأمور بيدها؟

ـ كان هذا منذ أكثر من ثلاثين سنة. ولقد تغيرت الأزمنة، وأصبحت للمساحات الأولوية، ولسوف أوصي أن يقفل جوردن قسم بيع الكتب كذلك.

ـ لقد راجعناكم في هذا الموضوع كثيراً.

ـ وهذا ما يزيد الموقف السيء.

ابتلعت ريقها. لقد أساءت تقديره وسألت: «هل لديك اقتراحات أخرى؟».

لا شيء يوقفها عن الاستفادة من أفكاره الذكية.. ليست غبية إلى هذا الحد.

ـ اقتراحات؟

وابتسم كأنه عرف بماذا تفكر، بل عرفه قبل أن تفكر فيه.. قال: «أنا هنا لأراقب وأتعلم. أنت الخبيرة. ظريف جداً».

قالت: «أنا سعيدة لأنك أدركت هذا».

هزت كتفيها ثم اتجهت نحو مكتبها والتقطت لائحة المخابرات التي يتوجب عليها إجراؤها.

ـ حين تنتهي من فحص مقعدي، سيسرني أن أجلس لأقوم بعملي.

ثم قطبت لشيء شغل تفكيرها: «وهل أرشدتك فلورا إلى المكتب؟ لماذا لم تكن مولي أو سكرتيرتي في انتظار عودتك من جولتك في المتجر؟».

ـ لقد جلت في المتجر يوم أمس، ومرة واحدة تكفي. ثم لم أشأ إزعاج سكرتيرتك، في حين أن كل ما علي فعله هو استخدام رقم سري مثلك لاستدعاء المصعد.. ففعلت.

مرة أخرى خذلتها الكلمات.. وهذا أمر يحدث دائماً، ولا يريحها.

وقف: «شكراً لسماحك لي باستخدام مكتبك».

ـ وهل كنت متأكداً من سير كل شيء على ما يرام خلال غيابك؟

ـ لن يجرؤ أحد على فعل شيء آخر.. مقعدك على أي حال صغير بالنسبة لي. أخبريني المزيد عن هذا المزاد.

ـ أنت لن ترغب حقاً في حضوره يا نيل. عد إلى مصرفك وإلى مقعدك الكبير وقم بصفقة كبيرة دسمة، فهي ستجعلك سعيداً أكثر بكثير من مراقبة الناس يرمون كمية فائضة من المال على أشياء تافهة.

ـ أنت لا تنفكّين تقولين لي ما لا أريد أن أفعله.

ـ وهل كنت مخطئة حتى الآن؟

ـ ظننت أن هذا الصباح كان مميزاً.

لم تطلب منه مزيداً من الشرح، فلديها فكرة جيدة عمّا يقصده.

وبدلاً من ذلك، نظرت إليه، تتفحص بذلته المقلمة، قبل أن تستقر في المقعد الذي لم يبدُ يوماً صغيراً لها. وكان لا يزال دافئاً.

ـ حسن جداً.. تعال إن كنت مصراً. لكن في هذه البذلة سيعتقد الجميع أنك بائع.

ـ من دون منديل أبيض حريري في جيبي الأعلى؟ لا أظن هذا.

كان يبدو وسيماً للغاية عندما يبتسم. وحين لم ترد، أكمل: «لا تغضبي لأنني أكسب رومانا.. أنت تعملين جيداً. لكنني كنت ألعب هذه الألعاب قبلك بكثير».

ـ هذه ليست لعبة يا نيل.. إنها حياة حقيقية.

لم يكن تذكيرها له بالحياة الحقيقية فكرة جيدة، فسارعت تلتقط هاتفها وتجري بعض المكالمات.. لكن مهما حاولت، لم تتمكن من التخلص من ذلك الخوف المفاجيء بأنها وشقيقتيها قد خرجتا عن طورهن وأن رجال فاراداي الأذكياء سيخرجونهن من مجلس الإدارة من دون أي جهد.

كان نيل قد استخدم مكتب رومانا لإزعاجها ببساطة. واكتشف أنه لم يفلح كثيراً، فقد لاحظ أنها تضحك وتستمتع... ولم تقطب حاجبيها مطلقاً.

كانت منكبة على عملها، تجري الاتصالات وتصدر الأوامر بصوت حازم يتناقض مع نعومة شفتيها.

كان من الممتع مراقبتها وهي تبتسم حيناً وتعبس طوراً وتتخذ القرارات من دون إضاعة الوقت.

لكنه لم يكن يرغب في أن ترفع نظرها وتضبطه يراقبها، لذا حذا حذوها، واستفاد من الوقت لتأجيل بعض المواعيد إلى الصباح الباكر، كي يتمكن من قضاء المزيد من الوقت في المتجر، وقراءة الكتيّب

الخاص بالمزاد. كان فيه الجنون ذاته.. كرة قدم موقعة من أعضاء فريق شهير، لائحة مكتوبة بخط يد أحد المشاهير.. وملابس شهيرة.

لا بد من بذل جهد عظيم لجمع مثل هذه المجموعة، ولا بدّ من أنها تستحق العناء نظراً للتغطية الإعلامية التي سوف تتسبب بها.

رومانا على حق في شيء واحد. لن يستطيع القيام بعملها.. لكن، من غير المحتمل أن يتمكن أحد من هذا.. إنها فريدة من نوعها.. مخلوقة اجتماعية رفيعة المستوى، يبدو أن الجميع يريد أن يعرفها. ومع ذلك فهي مخلصة تماماً للمتجر.. ومن الصعب إيجاد بديل عنها.

بإمكانه أن يشجع جوردن على أن يطلب منها الانضمام إليهم، لكنه كان يعرف أن هذا مضيعة للوقت. ثم من المحتمل أن تستخدم موهبتها لتبدأ شركة خاصة بها، أو ربما لن تزعج نفسها. فليست مضطرة إلى العمل ومع ذلك لا تزال تعمل ساعات طويلة.

ـ هل أعجبك شيء تودّ المزايدة عليه؟

رفع رأسه، وأدرك أنها أنهت مكالماتها وتراقبه بنظرة تقرب من السخط وكأنها لا تصدق أنه لا يزال هناك.

ـ أشك في هذا.

ـ أوه لا.. لا بدّ أن يكون هناك شيء يمكنك شراءه لأحد...

وهزت كتفيها وكأنها لا تستطيع تصور من يمكن أن يرغب في شراء شيء له.

ـ والدتك؟ لديك والدة؟

وبدا الشك في صوتها.

ـ لدي والد ووالدة وشقيقتان متزوجتان.

وهز كتفيه: «أنت على حق. سأحاول جاهداً أن أكون مسرفاً من أجل قضية محقة».

ـ إذن دعنا نذهب. ويمكنك حمل هذا الكتيب معك.

ـ يدهشني أنك لست هناك للتحدث مع الصحافة.

ـ مولي تقوم بهذا.. وأنا أهتمّ بالمزاد.

ـ وهل فعلت هذا من قبل؟

ـ ليس تماماً.

وكشرت ثم خرجت من الباب الذي فتحه لها.

ـ سأكون مبتهجة جداً حين ينتهي الأسبوع.

ـ وماذا ستفعلين؟ تأخذين إجازة لترتاحي؟

ـ أنت تمزح.. صحيح؟

وتجاهلت المصعد ونزلت السلم، ونظرت إليه وهي تمسك الباب هذه المرة: «كيف ستضع هذا في تقريرك إلى جوردن فاراداي؟ وماذا ستقول الصحافة؟ أمضت الآنسة رومانا كلايبورن الأسبوع الأول تنظم مناسبات جدية تكلّلت بالنجاح.. لكن الارهاق دفعها لأخذ إجازة في الأسبوع الثاني للراحة في جنوب فرنسا».

ـ جنوب فرنسا؟

ولم يستطع التفكير برومانا كلايبورن مستلقية على سطح يخت خاص..

وسألت: «وإلى أين قد أذهب في مثل هذا الوقت من السنة؟».

ما المميز في رومانا كلايبورن؟ لقد سلبته عقله منذ أوقعت القهوة عليه... أجبر نفسه على التفكير بمكان سياحي محتمل لأواخر الربيع. كان قد أخذ لويز إلى جزر يونانية وحاول أن يجعلها تهتم بالغطس.

وقالت بإصرار: «أودّ السفر إلى مكان قريب، وكثير الشمس؟».

www.elromancia.com

ـ ماذا؟ أوه.. اذهبي إذن.. لن أقول لأحد.

رفعت حاجبيها بعدم تصديق.

قال: «صدقاً».

ـ أصدقك.. لا. لقد وصلنا.

فتح نيل الباب المؤدي إلى المطعم الرئيسي وهي الفسحة الأكبر في المتجر وتستخدم عادة وقت الغداء في عروضات الأزياء، لكنها أخليت من أجل المزاد. وكان هناك أناس يقفون على طول الجدران، أما الممر في الوسط فيعج بوسائل الإعلام، وكانت كاميرات التلفزيون مركزة على المشاهير الذين يدخلون من أجل الدعاية المجانية. ولم يكن الضجيج يسمح بكثير من الكلام.

ـ يا إلهي.

رفعت نظرها إليه وقد أحست أنه تكلم. ثم وقفت على أطراف أصابع قدميها ووضعت يدها على أذنه وهمست: «لم يفت الوقت بعد لتهرب يا نيل».

كانت قريبة جداً منه بحيث أحس بهمس أنفاسها الدافئة على خده. لم تكن تبتسم الآن، وبالرغم من تصرفها الهادىء، أدرك أنها متوترة. إنها تواجه خوفها وتخفيه بالمزاح. أهي مضطرة للقيام بكل هذا؟ ماذا تحاول أن تثبت؟

مهما كان السبب، فلن يزيد الأمور سوءاً هذه المرة.. ومد يده ليأخذ يدها.

ـ أنا ظلك رومانا.. أينما تذهبين، أذهب.

وإذ أرادها أن تعرف أنه سيكون إلى جانبها، داعماً أكثر منه ناقداً، انحنى يداعب خدها بأنامله الطويلة.

كان يقصد أن تكون لمسة كالهمسة، كنوع من الطمأنينة. لكن ما

حصل أنها بدت تتويجاً لاندفاع المشاعر التي غمرته، ساعة دخلت سيارته.. تلك اللحظة حين كاد يعانقها، لكنه سيطر على نفسه في الوقت المناسب لحظة لامست شفتاها خده بعد أن قالت له إن الوقت حان للتفكير والبدء بالإحساس.

هذا هو الإحساس.

عندما ابتعد عنها كانت عيناها متسعتين دهشة.

قال مطمئناً: «ستكونين على ما يرام».

وعرف أن هذا صحيح.. ستقوم بما عليها ولن يعرف أحد سواه أن وراء الابتسامة المشرقة، خوفاً مكبوتاً.

لكن رومانا لم تكن مستعدة للاعتراف: «على ما يرام؟».

وحررت يدها من يده، وللحظة ظن أنها ستصفعه. وربما جعلها تجمع الصحافيين تفكر مرتين قبل أن تفعل شيئاً مشيناً لهما معاً. أو لعله تصور فقط الشرر وراء العينين الزرقاوين الكبيرتين.

ـ بالطبع سأكون على ما يرام نيل.. كلنا سنكون على ما يرام.. ولا أحتاج إلى رجل من أسرة فاراداي ليمسك لي يدي ويقول لي هذا.

* * *

٨ ـ قلب محطّم

ابتسمت مولي وهي تنضم إلى رومانا على المنصة: «جميل جداً... قلّة من الرجال يمكنهم التصرّف بهذه الخفة والإثارة في وقت واحد».

قالت رومانا وقلبها يخفق: «ماذا؟ أوه.. تعنين نيل؟ الآن؟ لم تكن هذه لمسة كغيرية.. كانت مجرد طريقة لتمني حظ سعيد».

ـ الأمر سيّان بالنسبة لي.

ـ حقاً؟ وكيف حال زوجك اللطيف هذه الأيام؟

ـ رائع وسيعاملني معاملة خاصة الليلة.. أشعر بالإلهام.

ـ أوه.. أرجوك!

بينما ذهبت مولي لتجد مقعدها، أخذت رومانا رشفة ماء، ولوحت بالأوراق على وجهها كالمروحة.

لقد كذبت. فتلك اللمسة كانت شيئاً آخر.. كانت تجسيداً لكل ما رأته في عينيه في موقف المطعم حين ظنت، وأملت، أن يعانقها. كانت كتيار كهربائي انطلق فيها حين لمست خده.. بطريقة ما أثر فيها، وحتى الآن، كان قلبها يحترق شوقاً وينبض مطالباً بالمزيد.

أخذت رشفة أخرى من الماء ثم التقطت أوراقها وضربتها بخفة على طاولة المزاد، رافضة النظر إلى حيث يقف مستنداً إلى الجدار، يراقبها، ومتجاهلة محاولات مولي للفت نظره.

لم تكن تريد طمأنته. وترفض التفكير بما تريد حقاً، فلن يحدث هذا. كل ما يريده هو حصة كلايبورن.. متجرها، حياتها.

إنها تحتاج إلى الغضب لكي تشعر بالحدة. التقطت مطرقة المزاد، وضربتها بحدة على الطاولة، فسكت كل من كان في القاعة.

لكن مولي كانت تلوّح بالكتيب، محاولةً لفت انتباه نيل. واستندت رومانا على طاولة المزاد ونظرت إليه.. ثم قالت تدعوه: «أرجوك.. خذ مكانك سيد ماكاولي».

وأشارت إلى المكان الذي حجزته له مساعدتها، مكملة: «لنستطيع أن نبدأ».

لقد طلبت منه له أن يغادر. وما من شك في أنه في تلك اللحظة تمنّى لو أصغى إليها، لكن الوقت تأخر كثيراً.. ورد عليها بهزة رأس خفيفة وتقدم إلى الصف الأول.

كان في منتصف الطريق حين سألت: «هل وجدت صعوبة في إيقاف السيارة؟».

كانت لهجتها متحدية ومتعاطفة. أمّا تعبيره فكان مبهماً، لكنها قرأته ككتاب مفتوح. وأحست أنه يقول لها: ستدفعين ثمن هذا فيما بعد..

وتابعت: «أنت تعرف أن من يتأخر يدفع غرامة قدرها ١٠٠ جنيه».

سأل: «منذ متى؟».

هل سيتجاوب مع لعبتها؟ أم أنه مشوش، بشكل عام؟ في الواقع، ليست مهتمة.

وردت: «منذ هذه اللحظة».

وسارع الحضور للضحك.. ورفعت المطرقة طلباً للسكوت.

ـ وأنا سأغرّمك خمسين جنيهاً آخر لأنك شككت في سلطتي.

وتعالى الضحك، لكنها كانت مسيطرة على المكان. كان الجميع يراقبها، ولم تعد بحاجة سوى لرفع يدها لاستعادة النظام.

سألت: «هل لديك مشكلة مع هذا؟».

رفع نيل يديه مستسلماً، وهز رأسه... يبدو أنه غير مستعد للمخاطرة بغرامات أخرى، وقالت: «أمر مؤسف».

والتفتت إلى الكاتب: «سجل ملاحظة أرجوك، مئة وخمسون جنيهاً على السيد نيل فاراداي ماكاولي».

وعادت تنظر إلى الحضور: «لا تشعروا بالأسى كثيراً عليه سيداتي سادتي. فالسيد ماكاولي أحد المساهمين في شركتنا، لذا لن يضرّه بعض السخاء».

وظن الجميع أن هذا الكلام لمجرد المزاح.

كان نيل يجلس في الصف الأمامي، فركز عليه المصورون، بينما كان يحاول أن يبتسم. وكان يمكن للابتسامة أن تقنع الكاميرات، لكنها لم تفعل.

لم تكن تظن أنه سيعترض كثيراً على ممازحته علناً، ولو فعل فهذه قسوة منه. لكنها استغلت مكاناً عاماً لتذكر العالم أن كلايبورن وفاراداي، تحت إدارتهن، مشروع ناجح جداً.

وهذا شيء آخر.

مع قليل من الحظ ستنشر المجلات الاقتصادية قولها. وإذا نشرت صورة نيل، فسوف يصاب جوردن فاراداي بالجنون. وسيعوض هذا عن الصورة الحميمة التي ظهرت لهما في صحف ذلك الصباح.

وقد يجعل هذا نيل ماكاولي يفكر ملياً قبل محاولة التسلط عليها مرة أخرى، أما بالنسبة للتودد إليها.. فعليه أن يحسن اختيار الزمان والمكان، في المرة القادمة.

لجمت هذه الأفكار التي بدأت تتسرب إلى رأسها، وركزت على العمل.

ـ حسن إذن.. كلنا نعرف لماذا نحن هنا اليوم. لذا إذا كنت جاهزاً يا سيد ماكاولي، فلن أضيع المزيد من الوقت.

وسار المزاد بسرعة محمومة، ودام أكثر من ساعة، كانت رومانا خلالها تمازح المشاهير الذين شاركوها أجواء المرح والتشويق ومن بينهم فريق كرة قدم وخبير أحوال جوية وممثلان تلفزيونيان. ونال الجميع ابتسامة عريضة عربون شكر على مشاركتهم.. دون اضطرارهم إلى دفع مئة وخمسين جنيهاً.

ولم يحصل نيل على أكثر من نظرة سريعة. كان هذا حين دفع مبلغاً سخياً من المال مقابل قميص كرة قدم موقع والنسخة الأصلية لفيلم سياسي وتذاكر لحفلة راقصة لأمه.

لكن، حين ذهب ليستلم مشترياته، وبدفع ثمنها، اكتشف أن رومانا حسمت الغرامة، وقيل له:

ـ كانت مزحة.. لست مضطراً للدفع.

قال: «أعرف هذا».

أبرز بطاقة اعتماده، وأكمل: «الآن اكتملت النكتة آنسة كلايبورن».

ولم تبق رومانا طويلاً بعد المزاد.. كانت تحتاج إلى هواء نقي، وبعض الهدوء. وأكثر من أي شيء، كانت تحتاج أن تكون لوحدها.

خلعت حذاءها وبدأت تخلع بذلتها قبل أن ينغلق باب مكتبها خلفها. أمامها بضع دقائق ريثما يدفع نيل ثمن الأغراض التي اشتراها في المزاد، وهي تنوي أن تستفيد منها لتتمشى، بعيداً عن ظلّها المراقب.

رفعت السكرتيرة رأسها عن الكومبيوتر وسألتها عبر الباب المفتوح بين مكتبيهما: «كيف سارت الأمور؟».

ـ كانت جنوناً كاملاً.. لا أستطيع أن أصدق مبالغ المال التي يصرفها الناس.

حتى نيل.. لا.. لا تريد أن تفكر بنيل فهي تشعر أن المتاعب قادمة من جهته.. والتقطت بلوزة من كومة مرتبة في خزانتها، ودستها من فوق رأسها: «هل من مشكلة هنا؟».

ـ لا شيء يُذكر.

ـ الحمد لله.

ارتدت بنطلوناً رمادياً وانتعلت حذاءها المنخفض، ثم قالت:

ـ سوف أذهب إلى البيت سيراً عبر الحديقة العامة، وأرفع قدميّ لعشر دقائق. لكن إذا سأل أحد عني..

وكانت تعني نيل ماكاولي: «.. قولي إنني ذهبت إلى طبيب الأسنان».

فهو لن يلحق بها إلى هناك، وأخذت حقيبتها واتجهت إلى الباب.

لم تحظَ بلحظة انفراد منذ السابعة والنصف صباحاً.. وعليها أن تهرب ولو لنصف ساعة. إنها بحاجة لأن تنسى المتجر، وتنسى كل شيء.

فتحت الباب، فرأت نيل مستنداً على الجدار المقابل، شابكاً ذراعيه أمام صدره، وكأنه كان يتوقع هروبها.

كيف بحق السماء انتهى من مسألة الشراء بهذه السرعة؟ سؤال غبي، لقد أخبرت العالم أنه من المساهمين، ولا بد أن الموظف سارع لمساعدته ما إن رآه عابساً، كما هو الآن.

كانت قد بدأت ترتاب من برودته ونظرته المثيرة للتوتر.

سأل: «هل أنت راحلة من دون ظلك؟».

كانت على وشك التحجج بعذرها المحضر سلفاً، لكنها فكرت ملياً.. قد يبدو هذا العذر بالنسبة إليه مبتذلاً جداً ليصدقه. ولو اعترضت، لأصرّ على مرافقتها والإمساك بيدها. وكان يمكن لهذا أن يكون مطمئناً لو أنها حقاً ذاهبة إلى طبيب الأسنان.

ولكن بما أنها لم تكن ذاهبة إلى طبيب الأسنان، فمن الحكمة أكثر أن تقول الحقيقة.

قالت: «أحتاج إلى الهواء النقي والمشي. لذا سأجتاز الحديقة العامة وأذهب إلى المنزل لأرفع قدميّ».

وأخذ صوتها يرتفع، وكأن اليأس يتملكها مع كل كلمة تضيفها، وصمتت قبل أن تبدو حمقاء.

ـ شكراً لأنك دعمت المزاد بمثل هذا الكرم.

ـ إنها طريقة باهظة الثمن للتبضع.

ـ إذا كنت تبحث عن التنزيلات، عليك البحث في مكان آخر... هل تريد شيئاً نيل؟

ـ جئت لآخذ أحد الأشياء التي دفعت ثمنها.

هزت رأسها وضحكت قليلاً: «لا تكن سخيفاً يا نيل. لقد شطبت الغرامة وقلت للموظفة إنها مجرد..».

ـ مزحة.. أعرف. قالت لي هذا ودفعت على أي حال.

وسرت رجفة ترقب في جسمها.. وهذا ليس من عادتها.. مستحيل.. وأغمضت عينيها بشدة قبل أن يرى المشاعر تشتعل فيهما.

ـ سأحرص على أن يعيدوا إليك مالك...

وهمّت بالرحيل.

لكنه لم ينته: «وتحرمين هؤلاء الأولاد من فائدة أموالي؟ لقد

سارعت في إخبار العالم أنني قادر على الدفع . . فهيا يا رومانا . . أنت لا تنفكين تقولين لي إن كل هذا من أجل قضية جيدة. فبرهني لي أن الأمر ليس مجرد علاقات عامة . . . أظهري لهؤلاء الأولاد الصغار كم أنك مهتمة فعلاً».

كانت تعرف أنه ليس من النوع الذي يتقبل المزاح العلني من دون التعبير عن غضبه . . ولهذا السبب كانت مستعجلة بالرحيل. فقد أرادت أن تعطيه الوقت ليهدأ قبل أن يلتقيا مجدداً في عرض الأزياء.

وخطر لها فجأة أنه لو عانقها، لانكسر هذا الجليد، وكسبت معركتها الشخصية . .

ولو فعل ذلك، فسوف تبرهن أنه ليس أفضل من أي رجل آخر . . وأنه يفغر فاه أمام تنورة قصيرة، أو فستان ضيق.

وكم ستتمتع بهذا . . في الواقع، خطر ببالها أن إركاع نيل ماكاولي تحت قدميها سيجعلها سعيدة جداً . .

لكنه على بعد خطوة منها وفي عينيه تلمع مشاعر يرفض الاعتراف بها. فأحست بنيران تستعر في عروقها وبساقيها تنهاران.

هل هذه هي الطريقة التي يقع فيها الناس في الحب؟ وهل هكذا يتغلب الاحساس على الفكر؟ أغمضت عينيها وانتظرت.

انتظرت من دون أن تعرف ماذا تنتظر.

حين فتحت عينيها مجدداً، اكتشفت أن نيل لم يحرك ساكناً. لكنها لم تقل شيئاً، كما أنها خشيت أن تبتلع ريقها خوفاً من أن تلفت انتباهه.

قال: «شكراً لك رومانا».

على ماذا؟ ولاكت الكلمات في فمها لكن الصوت بقي عالقاً في مكان ما في حنجرتها. تنحنحت وحاولت مجدداً: «على ماذا؟».

رد مستديراً ليواجهها: «يمكن للعناق أن ينتظر».

خطا إلى الخلف، وكأنه يريد أن يضع مسافة بينهما، وأكمل: «لا تقلقي . . سأقول لك متى».

واختفى عن نظرها متجهاً نحو المصعد.

لا تقلقي! وبقيت رومانا مسمرة في مكانها وهي تستعيد الأحداث في رأسها . . سيقول لها متى؟ ماذا يعني بحق السماء؟ أيعني أنه سوف يومىء لها ويقول «متى» في لحظة يختارها؟ لا . . ليس مضطراً أن يقول شيئاً، نظرة واحدة تكفي.

عاد نيل إلى مكتبه. كان يجب أن يعود لحظة تلقى المكالمة الهاتفية، لكنه أقنع نفسه أن كبرياء فاراداي أكثر أهمية . . مع ذلك لم تكن كرامة فاراداي هي التي أبقته في المخزن بعد ظهر ذلك اليوم، بل كانت رومانا كلايبورن.

وكان مصمماً على حضور عرض الأزياء الليلة . . لقد قلب لتوه الأمور لصالحه، ويريد رؤية نوترها.

من الآن وصاعداً، وفي كل لحظة يتواجدان فيها علناً معاً، ستكون أعصابها مشدودة، تنتظره أن يختار اللحظة المناسبة ليأخذ عناقه الذي كلفه مئة وخمسين جنيهاً. وتندم على كل ضحكة تسببت بها من الجمهور على حسابه.

ولا يعني هذا أنه يهتم للأمر. فما أغضبه هو اهتمامه بها وبالأمور التي تدفع نفسها للقيام بها مع أنها تخيفهاكما أغضبه رفضها اهتمامه وكأنها تظنه يحاول خداعها بطريقة ما.

حين نظرت إليه بعينيها القاتمتين وثغرها الشهي، نسي كل شيء حتى نفسه.

ولكن بما أن أحداً لم يستطع اختراق قلبه بعد لويز، بدأ يصدق أن

ما من أحد قادر على ذلك وأنه يمكنه الاقتراب من رومانا كلايبورن من دون أن يتأذى لكنه كان مخطئاً.

ولهذا السبب عرف أنه يجب ألاّ يلعب بالنار، وسيكون هذا خيانة للمرأة التي ماتت لأنه دفعها للقيام بشيء كانت تخافه.

لكن هذا القرار يجب أن يبقى بينه وبين ضميره.

قررت رومانا للمرة الأولى تغيير طراز ملابسها.. وبما أن لا مجال للمنافسة مع عارضات الأزياء في الجمال الجسدي، قررت أن ترتدي بنطلوناً أسود جميل التفصيل، وقميصاً حريرياً أسود، وقرطين بسيطين من الفضة. فاللون الأسود سيبرزها بسهولة بين ملابس الزفاف وشهر العسل، المرصعة.

وبالفعل، لمحها نيل على الفور. كانت سترة السهرة التي يرتديها تبرز وسامته وهو يتخطى الجمع ويتجه نحوها.. غافلاً عن العارضات شبه العاريات، فقد كانت عيناه شاخصتين إليها.

أحسّت بشيء من الارتباك في معدتها.

كانت ربطة عنقه مرة أخرى في غير محلها كما لاحظت.. ولأنها لا تريده أن يعتقد أنها تتجنبه استدارت نحوه ومدت يدها تصلحها.

وقالت تقترح: «ربما يجب أن تتخلى عن هذه وترتدي شيئاً مربوطاً سلفاً.. سأطلب من قسم ملابس الرجال أن يرسلوا لك بعضها لتجربه».

وبعد أن انتهت، سمحت لنفسها أن ترفع نظرها إليه، وتلتقي بعينيه.

كان من المستحيل قراءة تعابيره.. لكن لم يكن السبب شيئاً فعلته أو قالته، إذ لم يكن ينظر إليها.. بل إلى شيء ما خلفها.

سألت: «نيل.. هل أنت بخير؟».

حين لم يرد، استدارت لترى إلى ماذا ينظر.. فوجدت عارضة أزياء سوداء الشعر ترتدي فستان عرس كلاسيكي، تضحك لشيء قاله «العريس»... ولجزء من الثانية، بدا المشهد حقيقياً. عروس وعريس في غاية السعادة.

ـ اسمع.. لا يمكنك البقاء هنا.. ستعترض الفتيات.

وأبعدته عن المكان ممسكة بذراعه.

ـ مولي في الخارج. ستعتني بك، وتجد لك مقعداً.

حاول أن يبتسم، فكانت ابتسامته حزينة جداً.

ـ لا.. أعتقد أنك كنت على حق رومانا. لقد حصلت على كل المرح الممكن ليوم واحد.. هلاّ عفيتني من موعد العشاء؟

أحست باكتئاب غريب: «بكل سرور. وبصراحة، كنت آمل أن تنسى».

ورفع هذا حرارة ابتسامته ليقول: «أراهن على العكس».

هزت رأسها: «اسمع، يجب أن أعود إلى هناك».

وإذ شعرت أنها على وشك البكاء، استدارت وابتعدت بسرعة عنه. اللعنة.. اللعنة.. اللعنة!

ما الذي يعجبها في رجل محطم القلب؟

يجب أن تكون مسرورة لأنه اعتذر عن الحضور هذا المساء..

لكن مجرد التفكير به عائداً إلى ذلك المنزل الضخم الفارغ مع صورة عروس شابة في رأسه جعل الدمع يترقرق في عينيها.

إلا أنها سرعان ما انطلقت إلى العمل.

سألتها إحدى العارضات: «رومانا.. سنذهب جميعاً إلى العشاء ثم إلى نادٍ ليلي. هل ترغبين في الانضمام إلينا؟».

ـ شكراً.. لكنه كان يوماً متعباً وأعتقد أنني سأعود إلى البيت.

ـ إذا عدت برفقة الرجل المغربي الذي كان هنا فلا ألومك.

ولم تزعج نفسها بتصحيح المسألة، بل التقطت سترتها وسارت نحو مدخل الفندق الرئيسي.

ـ أتحتاجين سيارة أجرة آنسة كلايبورن؟

ـ أرجوك.

استدعى الحارس سيارة أجرة، وفتح الباب لها، فسألها السائق: «إلى أين آنستي؟».

إلى أين؟ وفكرت بشقتها المريحة والمفارش الرائعة التي تنتظر لتحتضنها حتى تنام... لكنها قالت: «خذني إلى سبيتفيلد».

استدار الرجل في مقعده: «سبيتفيلد؟».

وكرر كلامها ليتأكد أنه سمعها بشكل صحيح.

ولم تكن واثقة، لكن عليها أن تذهب على أي حال. طوال المساء كانت تنظم عرض الأزياء، وتحلّ المشاكل الطارئة وتحاول أن تكون الآنسة رومانا كلايبورن الكفؤة، التي تركز على عملها.

لكن تفكيرها كان في مكان آخر... في مطبخ ضخم جميل، مع رجل كان عليها أن تتحداه، بدلاً من أن تسيطر على أفكارها مسألة وجوده لوحده مع ذكرياته.

وعرفت أنها لن تتمكن أبداً من النوم إلى أن تطمئن إلى أنه بخير.

ـ هذا هو الشارع آنستي.

ورفعت نظرها إلى المنزل.. كانت النوافذ الأمامية مظلمة. لكنها رأت نوراً خفيفاً ينبعث من مكان ما في الخلف. خرجت.. وقالت للسائق:

ـ انتظرني أرجوك. لن أتأخر

اجتازت الرصيف الضيق، وصعدت السلم وهمّت بقرع الباب،

لكنها ترددت قليلاً... ثم أغمضت عينيها وطرقت الباب.

وانتظرت..

ثم نظرت إلى سائق السيارة. فوجدته يتكلم عبر جهازه اللاسلكي، بينما كان يراقبها، ليتأكد من أن أجرته المرتفعة لن تهرب وتختفي في أحد الشوارع الخلفية.

استدارت مجدداً إلى الباب، وبينما كانت تستعد لقرعه مجدداً، فتح لها نيل. كان لا يزال في ثيابه، لكنه حلّ ربطة عنقه وفتح الزر الأعلى من قميصه. وبدا مثيراً تماماً.. قال: «رومانا ماذا تفعلين هنا بحق السماء؟».

وكان هناك عدد كبير من الأجوبة على هذا السؤال.

كنت أمر من هنا وفكرت أن أقبل دعوتك إلى جولة.

أو.. طرأ تغيير على خطط الغد..

أو.. لقد أضعت مفتاح شقتي وأنا بحاجة لمنزل أقضي فيه ليلتي.

لكن، لن يفيد سوى الحقيقة.

ـ قلقت عليك نيل.. حين غادرت العرض، بدوت حزيناً.

ـ أتعنين أنك ظننت أنك ستجدينني غارقاً في حزني.. سيكون هذا سلاحاً ممتازاً للحرب ما بين كلايبورن وفاراداي.. أليس كذلك؟ وستكافئك اندريا دون شك على جهودك.

تجاهلت سخريته: «حقاً؟ هل كنت غارقاً في حزنك؟».

أجاب: «يا للجحيم.. اسمعي.. من الأفضل أن تدخلي».

ـ سيارة الأجرة تنتظرني.

نظر إلى السيارة السوداء: «دعيها تذهب، سأوصلك إلى منزلك بنفسي».

والتقط نظرتها المرتابة: «لا تقلقي.. لست ثملاً».

وخرج نحو السيارة، ليدفع له الأجرة.

أخذ السائق المال، لكنه لم يتحرك: «ألا بأس بهذا آنستي؟».

استدار نيل إليها، تاركاً القرار لها.. أي قرار؟ إنها هنا، أليس كذلك؟ وبالطبع ستبقى.

ـ أجل، شكراً لك.. سأكون على ما يرام.

ـ هل أنت واثقة؟

ـ تماماً.

وضع نيل ذراعه على ظهرها قائلاً: «ادخلي.. أنا في المطبخ، وأنا دائماً في المطبخ.. بقية المنزل.. لم ينته بعد».

ـ أرني إياه.. أريد أن أراه كله.

* * *

٩ ـ أسير الحزن

نظر نيل إليها بارتياب وقال: «تريدين رؤية المنزل الآن؟».

ـ ولمَ لا.. لقد وعدتني بجولة كبيرة.

وهزت كتفيها لتضيف: «إلا إذا كان لديك شيء أفضل تفعله؟».

هز كتفيه.. ثم استدار وأضاء النور. وبدأت تخلع سترتها، لكنه أوقفها.

ـ ربما من الأفضل ألا تخلعيها، فنظام التدفئة في الطابق الأعلى عتيق قليلاً.. وقد تشعرين بالبرد.

وتراجع إلى الوراء فاسحاً لها الطريق: «سنبدأ من الأعلى».

كان المنزل مؤلفاً من أربعة طوابق.. والطابق الأعلى يضم سلسلة من الغرف الصغيرة حيث تخزن الأشياء القديمة التي تحمل الكثير من الذكريات الغالية.

في إحدى تلك الغرف كان هناك دراجة هوائية قديمة الطراز... وعرفت رومانا أنها تخصّ امرأة نظراً لسلّتها وجرسها.

قالت وهي تمرر اصبعها على المقود: «لدي دراجة مثلها.. استخدمتها وأنا في الكلية».

ـ وتفضلين سيارة الأجرة هذه الأيام؟

ـ ليس دائماً.

أقفل نيل الباب دون تعليق، وقادها إلى الطابق التالي، وقال:

www.elromancia.com

«كان هذا مكتب لويز».

وفتح باب غرفة تطل على مؤخرة المنزل. . كان الغبار كثيفاً وكأنه لم يُنفض منذ وفاتها. وكانت رومانا على وشك أن تنصحه بمؤسسة تنظيف. . ولكنها أدركت أنه سيفعل لك بنفسه متى أصبح مستعداً .

قال شارحاً: «كانت هذه الغرف للأولاد والخدم عندما بُني المنزل في القرن الثامن عشر».

ـ لقد قلت إنك كشفت ديكوراً أصلياً؟

ـ في غرفة الجلوس.

ـ أرني إياها.

نزلا إلى الطابق الثاني حيث فتح نيل باباً خشبياً مزدوجاً، وأضاء الأنوار. ولم تكن رومانا واثقة مما توقعت أن تجده، لكن الرسم الباهت والديكور الزهري أذهلاها.

ـ لقد درست لويز تاريخ المنزل واكتشفت أن هذه الغرفة دُهنت عام ١٧٨٣ بمناسبة زواج تاجر حرير، فكانت أفضل ما يمكن للمال أن يشتريه.

ومرر يده فوق الجدران: «الرسوم الزهرية رسمت على يد فنان محلي».

ـ حقاً؟ وكان الترميم باهظ الكلفة بحيث لم يتمكن أحد من أن يتحمل كلفة إعادة دهنه منذ ذلك الوقت؟

ـ فكرت لويز أن تصلح الضرر في الزوايا فقط وتتركه كما هو.

وفاتته السخرية أو ربما تجاهلها.

نظرت حولها. كانت غرفة الجلوس جميلة، تطل نوافذها على الشارع لكنها تعتقد أنه يلزم الجدران طبقتان من الطلاء بلون بهيج والأبواب والنوافذ بلون أبيض.

ـ هل كل الجدران هكذا؟

تراجع إلى الوراء بينما راحت هي تفتح الأبواب وتنظر إلى الغرف. . . غرفة النوم كانت الوحيدة الصالحة للاستعمال. ففي نهاية الأمر، يجب أن يكون له مكان مريح ينام فيه. . .

وهناك لفت انتباهها إطار فضي يحتضن صورة امرأة شابة جميلة، سوداء الشعر والعينين. فأدركت على الفور سبب انزعاج نيل عند رؤية العارضة، فالشبه كبير بين المرأتين.

وقال من على الباب: «ما رأيك؟».

أغلقت باب غرفة النوم خلفها وقالت: «لن ترغب في معرفة رأيي».

وارتجف قليلاً ليس بسبب البرد وحده: «هيا رومانا. . لا تكوني سخيفة. . هذا لا يناسبك».

ـ هل حان الوقت لأقول لك ما يقوله ألطف الأصدقاء؟

ولم يرد. . فقد عرف تماماً أنها تراوغ. . وتأمل أن يتركها تفلت. . لكن، لماذا يفعل؟ ابتعادها عن طريقه سيناسبه كثيراً.

قالت: «أعتقد أنه يجب أن تنتقل من هنا».

ـ ماذا؟

هذا بالتأكيد استرعى اهتمامه.

ـ أنا متأكدة من أن كل هذا مذهل، وترميم المنزل قد يكون استثماراً جيداً. لكن وحده المؤرخ يمكن أن يفكر بالعيش هنا.

ـ لكن لويز كانت. .

ـ أعرف أنها كانت عالمة آثار. . لكنك لست كذلك. . إنك رجل عصري، تعرف أنه حين صمم تاجر الحرير ديكور هذه الغرفة عام ١٧٨٣، كان يتباهى بماله. كان زمناً عظيماً، استخدم فيه آخر طراز

وأكثر تقنيات الديكور فخامة ليقول للعالم إنه ثري. العالم يتقدم يا نيل والحياة تمضي قدماً، ولا يمكنك أن تعيش في متحف.

ـ هل هذا هو رأيك؟ أن تأتي بمهندسي ديكور، وتتركي الأمر لهم؟

ـ لا.

إنه منزل رائع، يليق بعائلة كبيرة... ولكن حتى لو أزيل الغبار وأعيد دهن الجدران، سيبقى بيت أرمل كئيب. فأجابت: «رأيي أنك يجب أن تشتري لنفسك شقة واسعة تطل على النهر وتنتقل إليها».

ظن أنها لا تعرف عمّا تتكلم، لكنه مخطىء.

ـ أنت اشتريت هذا المنزل من أجل لويز لأنك أحببتها، ولأنه كان في مقدورك أن تحقق حلمها.. لكنك مخطىء باعتقادك أنها ستحزن حيث هي إذا لم تنهِ ما بدأته.

ـ حقاً؟

وإذ شعر فعلاً أن ليس لديها فكرة عمّا تتكلم، قال:

ـ هل أنهيت كلامك؟

ـ لا.. لم أنهه بعد.. أنت رجل أعمال يا نيل، ولست خبيراً في التاريخ. وما سيُحزن لويز هو بقاؤك هنا وتجاهل نفسك. يمكنك أن تستثمر ممتلكاتك وتجني منها مردوداً جيداً.

ـ شكراً لأنك ذكرتني أنني مصرفي.. وبأن الأرباح أهم من القلب بالنسبة إليّ..

لا شيء سيوقفها عن الرد الآن.

ـ أنت قلتها.. والأسوأ يا نيل، أن ما يجعل لويز تعيسة هو أنك لا تفعل شيئاً.. أنت لا تعيش في هذا المنزل ولا تصلحه.. أنت فقط تتركه يبرد من حولك وتحزن.

وأخذت نفساً مرتجفاً: «الآن أنهيت كلامي».

ـ يمكننا إذاً أن نشرب القهوة.

ولحقت به إلى المطبخ. كان هناك أوراق ومغلفات مبعثرة فوق الطاولة، وضمها بسرعة في علبة رماها على الأرض. كبحت فضولها، وتقدمت إلى المغسلة حيث ملأت الإبريق.

فسألها: «ماذا تفعلين؟».

ـ أحضّر القهوة.. أليس هذا ما أردته؟

وراح يحضّر الفناجين.

ـ الآن وقد حللت شخصيتي، وصححت مسيرة حياتي لماذا لا تخلعين معطفك، وتجلسين وتخبرينني كيف تدير رومانا كلايبورن حياتها. لماذا تقوم بأشياء تخيفها، لماذا ليست الآن برفقة رجل يحبها.

تجاهلت سؤاله وفتحت الثلاجة وسألت: «هل أكلت شيئاً؟».

ـ أليس هذا من واجبي؟

ـ ليس بالضرورة وأفضلّ أن آكل شيئاً مع القهوة، إذا كان لي الخيار.

وأضافت قطعة جبن وبعض السلطة لطعامها، ووضعته على طاولة المطبخ.

ـ هناك من يجلب لي الطعام كل أسبوع.

خلعت رومانا سترتها، وعلقتها على الكرسي.

ـ وهل تطلب إيصال الطعام لك؟

ـ أنا أعمل لساعات طويلة.

وتقدم إلى الباب المؤدي إلى مخزن الطعام المليء بصفوف المعلبات.

ـ خاصة وأنا أدير مصرفاً، وأراقبك.

دارت رومانا حول الطاولة لتجد المقلاة، بينما كان هو يصب

www.elromancia.com

القهوة.

وسألت: «هل لديك مبشرة؟».

ـ هذا ممكن.

حين لم يكمل، قالت: «هلاّ أعطيتني فكرة عن مكان وجودها؟ وأريد أيضاً خفاقة».

ـ ليس لدي فكرة عن مكان المبشرة. لكن الخفاقة موجودة في الخزانة.. استخدمتها لخلط بعض الدهانات.

رفعت حاجبيها: «دهان؟ متى؟».

وصب القهوة: «ليس مؤخراً. لكنك لن تحتاجي إلى خفاقة لصنع العجّة.. الشوكة أفضل».

لمحت لمعان التحدي في عينيه الرماديتين. لكنها لم تشأ أن تمنحه لذة الاستهزاء بها فاكتفت بالقول: «شكراً لك».

تابع صب القهوة وهي تكسر البيض وقال: «أخبريني.. ما هو شعورك وأنت الشقيقة الصغرى لثلاث أخوات من أمهات مختلفات؟ كيف كنتن متفقات وأنتن صغيرات؟».

ـ أنت تحاول زرع الفتنة، أليس كذلك؟

وراحت تفتح الأدراج بحثاً عن شوكة.

ـ هل تسعى لتفرّقنا عن بعضنا؟ لن تنجح.

ـ لا.. فقد لاحظت أنكن فريق واحد.

ـ أتعني أن جوردن قام بالتحقيقات أم اكتشف هذا بنفسه.

ـ لم تكن زيجات بيتر كلايبورن سراً. كانت تملأ كل مقالات الشائعات في تلك الأيام.. لكنني كنت أهتم بالواقع. أعني أن إحداكن هجرتها أمها، وقد يكون هذا حظاً سيئاً..

كان يحاول أن يتكلم عنها كي يبعد تفكيرها عن مأساته.. لكن

هذه قصة قديمة.

ـ لم يكن يهوى الزواج مدة طويلة.. لكن والدي كانت له ميزة الاحتفاظ بأولاده، ولحسن الحظ لم تحمل أي من أمهاتنا اسم كلايبورن مدة تكفي لنلاحظ وجودها. وبما أننا عشنا جميعاً معاً، في حضانة أطفال برعاية مربيات كفؤات..

هزت كتفيها، متظاهرة بأنها لم تتألم لأن أمها لم تكن قوية بما يكفي لتأخذها معها حين تركت منزلها الزوجي. ولم يؤلمها أن يكون المبلغ الذي قبضته لتركها مهما كان كبيراً، كان تعويضاً يكفي لخسارة ابنتها. لكن والدتها لم تضع الوقت، بل تزوجت ثانية ورأت رومانا صورة لعائلتها السعيدة وأولادها الأربعة في مجلة تسعى إلى مثل هذه القصص.

لكنها لم تدع أحداً يرى ألمها.

ـ والدك لم يحالفه الحظ مع زوجاته.

ـ كان يفضل الجمال الخارجي على الداخلي، في حين أن على المرء أن يعمل من أجل علاقة ما، وهذه نقطة ضعف عند أبي.

لم يبذل جهداً حتى مع أولاده بالرغم من تصميمه على الاحتفاظ بهن.. وإذ أدركت أنها قالت أكثر مما كانت تنوي، هزت كتفيها مرة أخرى.

ـ فلورا انتقلت لتعيش مع أمها حين بلغت السادسة عشرة.. ووالدة اندیا فيها شيء من الغموض.. ولم يحتمل أبي العيش معها طويلاً.

ـ ربما لم يكن لديه خيار آخر فجدتك كانت امرأة بكل معنى الكلمة... وأعتقد أن هذه الكمية من الجبنة تكفي رومانا. إلا إذا كنت تنوين رفع نسبة الكوليسترول في دمي؟

نظرت إلى كومة الجبن: «أوه.. يا إلهي.. لقد برشتها كلها. لا

www.elromancia.com

بأس.. يمكنك استخدامها لصنع السندويشات.. أو شيء ما».

مرر لها فنجان قهوة: «هاك.. اجلسي.. واشربي القهوة.. سأحضّر العجّة بنفسي».

أخذ زجاجة زيت زيتون من الخزانة وسكب القليل في المقلاة ثم أشعل النار وحرك البيض بسهولة تدّل على أنها ليست المرة الأولى التي يفعل فيها هذا.

استندت رومانا إلى الطاولة وراقبته يعمل. كان كماه المرفوعان يكشفان عن ساعدين قويين مفتولي العضلات، وقد لاحظت أن خيوطاً كانت عالقة في شعره.

سألت: «ماذا كنت تفعل حين وصلت».

وتجاهلت دعوته للجلوس، واستندت إلى الطاولة تراقبه وهي ترتشف قهوتها.

نظر إليها: «ماذا كنت أفعل؟».

ـ بدوت وكأنك كنت..

ـ أنكر؟

وهزت رأسها: «بدوت.. ولا تزال.. وكأنك كنت تعمل في مكان كثير الغبار».

ومدت يدها تلتقط خيوط العنكبوت من شعره وأمسكتها أمامه ليراها.. نظر إلى خيوط العنكبوت ثم إليها، وفجأة أدرك كم هما قريبان من بعضهما البعض، لدرجة أنه رأى ما كانت تحاول تجاهله، وهو أنه ليس عدواً سيقوم بكل ما في وسعه لينتزع منها عالمها، لكنه رجل من النوع الذي يمكن أن يضيع العالم لأجله.

سألت: «هل وجدت ما كنت تبحث عنه؟».

وقاومت لتخترق التوتر الذي ساد بينهما وجعلهما عاجزين عن

التقدم أو التراجع.

سأل: «من قال إنني كنت أبحث عن شيء؟».

ونظر بعيداً.. فتراجعت خطوة وهو يصب البيض في المقلاة، ثم يضيف الجبن، وهو مستغرق تماماً في عمله.

نظرت رومانا إلى العلبة قرب خزانة أدوات المطبخ.. أوراق ومغلفات. أحدها كبير يحمل اسم مصور اجتماعي.

استدار حين لم ترد، وتبع نظرتها ليقول: «لقد احتجت..».

وبدا للحظة وكأنه يكافح ليتنفس: «احتجت لأن أجد الصور.. فالفتاة التي كانت ترتدي ثوب الزفاف تشبهها تماماً».

ولم يكن بحاجة لأن يفسر شيئاً: «أتظن هذا؟ هناك صورة للويز في غرفة نومك، وعدا عن لون بشرتها، لم ألحظ شبهاً كبيراً بينهما».

التقطت العلبة، ووضعتها على الطاولة، ثم أخذت المغلف: «لكن، دعنا نلقي نظرة».

مد يده: «لا!».

وأمسك معصمها ليمنعها من إخراج الفيلم.

ـ لا أعتقد أنه الوقت المناسب.

أشارت إلى الموقد: «هل هناك شيء يحترق؟».

استدار ليمسك بالمقلاة، وينقذ العجة قبل أن تحترق ثم سكبها في طبقين.

واستدار بينما كانت تخرج الصور التي انزلقت فوق الطاولة. فأجفل وكأنه تلقى لكمة.

أخذت طبقاً وطلبت شوكة.

للحظة، ظنت أنه سينتزع الطبق منها ويرميها إلى الخارج. لكنه كان لا يزال مسيطراً على نفسه، كابتاً ألمه ولوعته.. دون أن يترك شيئاً

يظهر على وجهه. واستدار ليحضر شوكتين.

استند إلى خزانة المطبخ، وتناول لقمة من البيض والجبن، محاولاً التصرف بعفوية لكنها كانت تعرف أنه منزعج.

ربما لو دفعته قليلاً لاستطاعت أن تنسف هذه السيطرة وتعيد له إنسانيته.

تجاهلت رومانا الصور، ووضعت طبقها من يدها ثم عبثت بمحتويات العلبة. جعلها هذا تشعر وكأنها متطفلة، لكنها كانت مصممة على انتزاع ردة فعل ما منه.

كانت العلبة مليئة بالرسائل، والمذكرات والصور.. أشياء سخيفة.. أشياء يجب ألاّ يراها أحد. ولم تعد قادرة على الاستمرار، فاستدارت تأخذ لقمة أخرى من العجة.. إنها مثله، تمر بوضع محرج.. وتتصرف وكأن كل شيء طبيعي.

ـ لقد جاءت أخواتي ونظفن المنزل قبل أن أصل. وأخذن معهن ملابسها وهدايا العرس ووضعن كل شيء في علبة أتفحصها حين أصبح قادراً على المواجهة.

ـ ما كان يجب أن تترك الأمر طويلاً.

سأل: «وهل هناك جدول زمني لمثل هذه الأشياء؟».

ـ لا يمكنك أن تدفن أحزانك.. عليك مواجهتها.

وطالما أنه يرفض مواجهة الألم، سيبقى أسيراً في هذا المنزل الفارغ، غير قادر على الحركة.

ـ الحديث عمن تحب وعمن خسرت، لا يعيده إلى الحياة.. ويكفي أن تنظر إلى صورة لتتذكر يوماً.. أو شيئاً قالته.. أو قلته أنت..

لمعت عيناه للحظة بسرعة وحرارة: «كفى! أنت لا تعرفين عمّا

تتكلمين!».

ثم أشار بعجز بيده: «وأرجو من الله ألا تعرفي أبداً..».

تمسك بالطبق وكأنه سيحميه.. لكنه لم يعد يأكل، فأخذته منه، وأمسكت يده.

ـ على الأقل، هناك شخص أحبك كثيراً، وقد عرفت هذا الإحساس.. وستعرفه دائماً..

بينما هي لم يكن لديها من يهتم بها يوماً.

إنه على حق.. لن تستطيع الإحساس بمشاعره، لكنها كانت تشعر بشيء يؤلم.. شيء كان يتلوى مثل السكين في داخلها لرؤيته أسيراً للحزن بسبب وفاة زوجته.. وهذا سبب وجودها هنا، في مطبخه، بدلاً من أن تكون في فراشها.. وتحذر من ألاّ تتورط عاطفياً أبداً.

لكنها كانت مصممة على مساعدته.

التقطت صورة كبيرة لماعة للويز وهي تصل إلى الكنيسة، وسألت: «وهل ذكّرتك عارضة الأزياء بيوم زفافك؟».

ـ وهل يجب أن تسألي؟ لقد قلت لي أن أبقى بعيداً.

ـ أجل..

ونظرت إلى صورة لويز وهي مشرقة فرحاً، مليئة بالحياة. لقد حاولت حمايته وأبعدته عن غرفة الملابس.

ـ كنت مخطئة.. وأنت كنت مخطئاً، عرض الأزياء لا دخل له بهذا.. كان مجرد صورة للعروس المثالية.. لويز كانت امرأة حقيقية، وليس وهماً جميلاً فوق المسرح، لتبيع حلماً، انظر إليها يا نيل.

ومدت الصورة أمامه ليراها، لكنه أبقى نظره على وجهها.

ـ لقد أحببتها من كل قلبك.. وهي أحبتك وستبقى ذكرى هذا الحب دائماً معك.. وهذه كلها ذكريات على ورق.

www.elromancia.com

مدت يدها إليه، وأخذت يده، ووضعت الصورة داخلها: «انظر إليها الآن، وتذكر ما كان لديك، وليس ما خسرته».

لكنه لم ينظر إلى الأسفل.

ـ لا أستطيع..

سألت: «أليس لديك قلب؟».

بعد صمت كاد لا ينتهي، ترك نظره يتحول عن وجهها إلى الصورة التي كان يحملها. ونظر إليها طويلاً.. ولمدة طويلة لم يظهر على وجهه أي شيء.. ثم مد يده إلى الصور المبعثرة على الطاولة وحملها إلى الكنبة من دون أن يترك لها الخيار سوى أن تنضم إليه.. حين ارتمت إلى جانبه، بدأ يقلب الصور واحدة واحدة في صمت متجهم.

كان هناك صور أخرى للويز وهي تصل إلى الكنيسة مع والدها. كان نيل وجوردن يرتديان معطفين رماديين، وبدا نيل أصغر سناً بكثير... أكثر حتى من أربع سنوات.. ربما لأنه كان خالي البال وسعيداً.

سألت: «هل كان جوردن اشبينك؟».

هز رأسه إيجاباً. كان هناك مجموعة من وصيفات العروس الصغيرات في ثياب بيضاء وخوخية. واثنان لا بد أنهما والدا نيل.. مع شابتين صغيرتين».

ـ هل هما شقيقتاك؟

وأجبرته على الرد: «إنهما كارا وجوسي. لقد اشتريت قميص كرة القدم لابن جوسي.. سيبلغ الثامنة من عمره في الشهر القادم».

وكأن هذا بطريقة ما أطلق لسانه فبدأ يتكلم، ويشير إلى العائلة والأصدقاء، وكل من كان يحتفل بذلك اليوم السعيد.

وأظهر لها صورة لخروجهما من الفندق.. والسيارة المكشوفة،

المزينة بالبالونات وكانت لويز ونيل ينظران إلى الخلف نحو آلة التصوير، يلوحان ويضحكان.

وفجأة بللت دمعة الصورة، وللحظة ظنت رومانا أنها دمعتها. لكن نيل استدار إليها، ورأت أنه يبكي... فعجزت عن الكلام وكل ما استطاعت أن تفعله هو أن تفتح ذراعيها وتضمه إليها ليُخرج الحزن المكبوت في قلبه.

* * *

www.elromancia.com

١٠ ـ زلّة لسان

ـ لا بأس نيل . . أفصح عمّا في قلبك .

ولم تكن الكلمات التي تمتمت بها تهم، كل ما أرادت أن يعرفه هو أنها فهمت حزنه المكبوت وإحساسه بالوحدة .

ومسحت جبهته، وراحت تواسيه . . وتقول له أشياء كانت مكبوتة في داخلها لزمن طويل . . وطوال الوقت، بقيت تضمه ورأسه على صدرها، وأصابع إحدى يديها متشابكة في شعره، والأخرى ملتفة حول خده .

همست وهي تمسح الدموع عن خدّيه : «أنت لست لوحدك . . أنا هنا» .

ـ رومانا .

خرج اسمها من فمه بحدة، يحذرها أن تتوقف، بينما كانت ذراعاه تشتدان حولها .

وكرر : «رومانا» .

وتمتمت اسمه، في صدى لصوتها . وأغمضت عينيها، مقدّمةً له العزاء الحقيقي الذي يمكن لامرأة أن تقدمه لرجل تحبه وهو يتألم، لكي ينسى كل شيء من حوله .

كرر مرات ومرات : «رومانا» .

وكأنها كلمة جديدة، وكأنه لم يرها من قبل . . وكأنما تتح عينيه

فجأة ورأى عالماً آخر .

ـ رومانا . .

ردت : «أنا هنا» .

لامس يدها قبل أن يرفع أصابعه إلى وجهها، ويحتضن خدها . وراح ينظر إليها وكأنه يحاول أن يقرأ أعماق أفكارها .

وأياً يكن ما رآه في عينيها لا بد أنه كان يأمل أن يراه . أمسك بوجهها بين يديه، ثم عانقها بحرارة لا مثيل لها .

وبدا أنه يسأل : هل هذا جيد بالنسبة لك؟ هل يعجبك؟

وكان ردها نعم . . ونعم . . ونعم . .

قال : «أريد أن تبقي بين ذراعي» .

رداً عليه مدت يدها إلى شعره المشعث وراحت تداعبه .

وهمس وهو يلامس بشرتها : «حرير . . حرير صافي» .

ثم تأوه بنعومة وهو يبتعد .

لكنها لم تدعه يبتعد قليلاً، بل عانقته مجدداً، وكررت كلماته : «أريد أن تبقى بين ذراعي» .

وبيطء وحنان، عانقا بعضهما، إلى أن تعاظمت المشاعر بينهما، وفقدا كل إحساس بالمكان والزمان .

وكان كل شيء يسير على ما يرام، لولا أن الاسم الذي همس به كان اسمها .

للحظة، جمد . وصدمهما اسم لويز ليخرجهما من سحر الحب . . ولم ينتفض أي منهما، ولكن الصمت كان ثقيلاً عليهما .

قال، متأخراً جداً : «رومانا . . تعرفين أنني لم . . لم أكن أفكر» .

ولم يعرف نيل بماذا كان يفكر . . لقد احتضن رومانا بين ذراعيه، وغازلها بحب ظنه مستحيلاً . لقد كانت المرأة التي يريدها، ولا يزال،

www.elromancia.com

ولا أحد غيرها.

مع ذلك، كانت لويز معهما. كانا يتحدثان عنها.. يتذكرانها.. صورها كانت مبعثرة على الأرض. إنها هنا معهما.. تنتظر أن يودعها.

ـ لا بأس نيل.. أنهم هذا.

ـ حقاً؟ أنا لا أنهمه.

كل ما فهمه أنه جرحها بطريقة لا يعرف كيف يصححها.. وأن الأمر ليس مقبولاً على الإطلاق.. مدّ يده في محاولة ليمسك بها، ويطمئنها، لكنها استدارت عنه، وأبعدته نهائياً.

قالت بصوت هادىء: «كنت بحاجة إلى أحد يا نيل.. وكنت أنا هنا.. دعنا لا نعظم الأمر. هلا طلبت لي سيارة أجرة من فضلك؟».

ـ سآخذك بنفسي.

وللحظة ظنها ستجادله، وتصر على أن تستقل سيارة أجرة.. لكن لعلها وجدت هذا أسهل بكثير من مواجهة الصمت المربك وهما ينتظران وصول السيارة، وهزت رأسها موافقة.

كانت رومانا تموت في داخلها. وإذ انحنى نيل ليلتقط الصور المبعثرة، فكرت أنها لم ترَ رجلاً من قبل بمثل هذا الشحوب. وظنت أن قلبها سيتحطم لأنها جعلته يشعر بعقدة الذنب هذه.

الذنب لخيانة ذكرى زوجته.. والآن الذنب للطريقة التي جرحها بها.

كانت تظن أنها قادرة على حل مشاكله كلها.. لكنها جعلت الأمور أكثر سوءاً.. وانحنت تساعده على التقاط الصور عن الأرض.

قال يمسك بيدها: «اتركيها».

ونظرا إلى بعضهما.. وللحظة ظنت رومانا أنه سيضع ذراعيه حولها، وقال: «سأفعل هذا فيما بعد».

نهض عن الكنبة وأمسك مفاتيح السيارة في يده.

قالت: «لست مضطراً لهذا..».

ـ ضيافتي لك لم تكن جيدة وعليّ أن أقلّك لأكفّر عن ذنبي.

وظنت أنه كان يتكلم عن الطعام.

بدا شاحباً في الإضاءة الخفيفة: «لا تقلل من قدر نفسك، أنت تصنع عجّة عظيمة».

ودفعت نفسها للابتسام. الأشياء سيئة بما يكفي، لأنه لا يزال يحب زوجته. عليها أن تقنعه بأن ما جرى لا يستحق الذكر... ولكن خداع النفس أمر خطير، وما زال أمامهما شهر يمران به.

سألت بأدب رسمي: «هل سأراك غداً؟ في المتجر؟».

انتظرت أن يتحجج بعذر ما، ليبقى بعيداً، لكنه لم يفعل.

ـ مؤسسة كلايبورن وفاراداي هي من أولويات اهتمامي في الوقت الحاضر.. إلا إذا ظننت أن انديا جاهزة لتتنازل؟

قالت: «مستحيل».

وفهمت ما يعني. وببطء عادت علاقتهما إلى العمل، حيث يجب أن تبقى.. وهذا شيء نسياه معاً في الجو المشحون من الحزن والذكريات. وتابعت: «إنه عناد وكبرياء من جهتك.. أنت ترفض ترك الأمور على ما هي عليه».

ـ ألهذا جئت الليلة إلى هنا؟ لتقولي لي هذا؟

قالت: «لا.. كنت على حق في المرة الأولى. توقعت أن أجدك غارقاً في حزنك».

ـ وهل كنت تسرعين لنجدتي، أم كنت تخططين لإغراقي؟

ـ سيكون هذا إنشاء للسر.

خطوة خطوة كانا يعيدان علاقتهما من الهاوية، كأن شيئاً لم

www.elromancia.com

يكن. . وكأن العالم لم ينقلب لتوه رأساً على عقب. ثم أفسد كل شيء بقوله: «سأخبرك شيئاً يا رومانا، وهو أنني حاولت مرتين. واكتشفت شيئين، أحدهما أن الحزن يبقى عائماً».

ـ والآخر؟

ـ أنك تشعرين بالأسى لأيام فيما بعد.

ـ أولم تكفِك مرة لتريك هذا؟

ـ أردت أن أتأكد، ليس إلاّ.

ـ أنت رجل عظيم.

ومدت يدها تلامس خده، حيث مسحت دموعه. كانت هذه المرة الأولى التي ترى فيها رجلاً يبكي. . ولم تكن تعرف أنهم قادرون على البكاء. .

ـ وهل ستكون بخير لوحدك؟

قطب: «وإذا قلت لا؟ هل ستبقين؟».

ترددت، لحظة أطول من اللازم قبل أن تقول: «كان هذا أمراً خارجاً عن السيطرة يا نيل. . ردة فعل ناتجة عن عاطفة زائدة. كان يمكن أن يكون انجرافاً شخصياً. . أو من الممكن أن يكون مؤامرة ساخرة مني لتهديد موقفك».

وأعطته فرصة لومها على ما حدث، وإراحة عقدة ذنبه.

ـ لا أصدق أنك قادرة على السخرية.

ورفض تضحيتها.

لو لم ترتكب لتوها غلطة الوقوع في حبه، لفعلت ذلك فور سماعها ردّه. لكن الوقوع في الحب مع العدو، سيكشفها من كل الجهات. . ومن دون أحد يواسيها حين ينتهي كل شيء بالدموع. وهذه المرة هي التي ستذرفها.

سألت: «وماذا عنك؟ إلى أي درجة أنت ساخر؟».

وكانت تعرف الرد عن هذا السؤال، فالساخر لا يخطىء في الاسم ولا ينجرف وراء رغبته. وربما لهذا السبب لم يجبها وفضّل الاستماع إلى الموسيقى في طريقهما.

أرادت أن تهرب وتخرج من السيارة قبل أن ينزل ليساعدها. . لكنه أصر على السير معها حتى الباب الأمامي، وقبل أن تدخل، وضع يده بخفة على ذراعها.

ـ رومانا. .

ولم يجد الكلمات.

ـ لا تقل شيئاً! أرجوك لا تعتذر. . لا داعي للاعتذار. أنت تحب لويز، ولم تستطع التعايش مع ظروف وفاتها.

وإذ استدار ليذهب، وضعت يدها على ذراعه بدورها.

ـ نيل. .

وانتظر.

ـ قد لا ترغب في أن تسمع هذا.

لكنها ستقوله على أي حال: «ستكرّم ذكرى لويز أكثر إذا عشت حياتك جيداً، فهي لا تريدك أن تضيعها في الإشفاق على الذات، أو الندم. . ولو كنت مكانها. .».

وصمتت. . فهذا لن يحدث أبداً.

ـ لو أحبتك هي.

ـ لو؟

ـ لو أنها أحبتك كما أحببتها أنت. .

لكن، مهما كان ما سيقول، فقد انتزعته منه. . ولم يكن يصغي.

ـ بالنسبة لفتاة هجرتها أمها من أجل مبلغ ضخم من المال، ويظن

والدها أن دفتر الشيكات هو الرد على كل شيء، يبدو أنك تعرفين الكثير الكثير عن الحب.

ارتجفت: «هذه أخبار قديمة».

ـ لكنها جديدة بالنسبة لي.

رفعت نظرها.. هل كان يصغي إلى كل الكلام السخيف.. الذي تفوهت به؟

سأل: «متى رأيتها آخر مرة؟».

رفعت حاجبيها، فأكمل: «أوه.. فهمت. يجب أن أعيش جيداً.. وبإمكانك أنت الانغماس في الإشفاق على الذات.. وإذا أردت معرفة رأيي، رومانا..».

ـ لا أريده.

ـ.. أنا أظن أن أمك كانت الخاسرة.

وحبست دموعها.

ـ أنت لا تعرف عمّا تتكلم.

فسرعان ما عوضت أمها عن خسارتها بأطفال آخرين.. وأكمل: «أما بالنسبة لبيتر كلايبورن، فقد كان رجلاً له كرامته. رجلاً يعرف ثمن كل شيء وقيمة اللا شيء. النساء الجميلات.. بناته.. ممتلكاته. ولم يتعلم يوماً احترام هدف رغبته».

ـ وهو يحب انديا.

خرجت الكلمات منها قبل أن تفكر فيها. لكنها كلمات لطالما كانت موجودة، مدفونة في عقلها الباطني. واكتشفت أن إثارة ذكريات أحدهم يمكن أن يعطي مفعولاً عكسياً.

ـ انسَ أنني قلت هذا، أرجوك.. فقد كان يحبنا جميعاً.

ـ الحب أصبح كلمة مبتذلة تشمل الكثير من المعاني. ولو أن

والدك حاول أن يعرفك، وأن يبني علاقة معك، لما اشترى لك سيارة في عيد ميلادك السابع عشر.

ـ أنت لا تعرف عمّا تتكلم.

ـ ألا أعرف؟ أليس لهذا السبب أهديتها إلى أحدهم في نوبة جنون طفولي؟

ـ أنت..

وضع أصابعه إلى شفتيها، مانعاً إيّاها من التلفظ بأي شتيمة.

ـ تعرفين أنني على حق.. ولو كان يحب انديا حقاً، لما تركها الآن تتخبط في مشاكلها.. فكري بالأمر..

ثم بعد تردد قصير، انحنى ولمس خدها.

ـ سأراك غداً رومانا.

ـ ليس إذا رأيتك أنا أولاً.

وأغلقت الباب وأحكمت إقفاله ثم وضعت يدها على خدها الذي كان لا يزال دافئاً من لمسته... خلعت ملابسها، ورمت نفسها على السرير، تكرر لنفسها مرات ومرات الكلمات التي منعها من قولها بأصابعه.

لكنها لم تستطع أن تمحو حرارة لمسته وشوقها لأن يضمها مجدداً.. الشوق لأن يجعلها تصدق أنه يهتم لأمرها.

لكنها ما لبثت أن فكرت في أنه لا يجدر بها الاستسلام لحالة الضعف هذه.

لن تحبه.. فكرت بهذا مرات ومرات.. لن تحب أحداً.

جلس نيل لمدة طويلة في الظلام وحطام حياته مبعثر على أرض المطبخ، يفكر برومانا كلايبورن.. يفكر كيف تمكنت من اختراق الحواجز التي أقامها لحماية نفسه من الإحساس بأي شيء مجدداً. كيف

www.elromancia.com

ضمها وبكى على صدرها هنا على كنبة لويز.

لكن هذه الكنبة لم تكن للويز، فزوجته ماتت منذ أربع سنوات. وهو كان ميتاً كذلك، إلى أن أوقعت رومانا كلايبورن الذكية القهوة عليه.

منذ اللحظة الأولى، التي وقعت فيها عيناه على رومانا، بات من المستحيل عليه تجاهلها.. كان بإمكانه أن يبتعد عنها، فلم يكن من الضروري أن يبقى طوال اليوم معها. والسماء وحدها تعرف كم قالت له أن يبتعد. مع ذلك بقي.. ووضع أعماله الكثيرة جانباً.

بدأ يلملم الصور، واحدة واحدة، وينظر إلى كل منها لوقت طويل قبل أن يضعها في العلبة. لن ينسى لويز أبداً، ويعرف هذا.. ستبقى في قلبه دائماً.. لكن رومانا على حق. لقد أحبته.. ولو كان هو الذي مات، لشعرت بالطريقة ذاتها.

وهذا هو الحب.

لكن لا شيء يمكن أن يتغير فما حدث قد حدث. وما من ذنب، أو معاناة يفرضها على نفسه، سيعيدها.. والليلة، وهو ينظر إلى صور زفافهما، تقبل أخيراً هذا.. وقد رأت رومانا ذلك بوضوح، واستخدمت كلمات كان يمكن للويز أن تستخدمها في الموقف ذاته. فالحياة الجيدة هي بالضبط ما كانت ستتوقعه لويز منه.

لقد تلفّظ باسمها الليلة، لكن هذا لم يكن محاولة لخداع نفسه بأن المرأة التي كانت بين ذراعيه هي لويز.. لقد كان هذا وداعاً.. ولم يفهم تماماً.

لقد أطلقت رومانا سراح نفسه من سجن فرضه على نفسه.. وآلمها دون قصد. والاعتذار لن يكفي أبداً، يجب أن يفعل شيئاً.. أن يُظهر لها كم يهتم لأمرها. وفتح الملف الذي أعطاه إيّاه جوردن، وبدأ

يفتش عن شيء.. أي شيء قد يعطيه فكرة.

* * *

رفعت رومانا رأسها لتنظر إلى انديا التي وقفت عند باب مكتبها.

ـ أنت لوحدك؟ من دون ظل مخلص يراقبك؟ تبدين رهيبة، هل كان هناك حفلة بعد العرض ليلة أمس؟

ـ لست أدري.. لقد غادرت ما إن انتهى العرض.

ارتفع صوت انديا متسائلاً: «سمعت أن نيل ماكاولي لم يبقَ وقتاً طويلاً أثناء العرض كذلك».

ـ حقاً؟ هل سمعت هذا؟ لم أكن أعرف. لا بد أن مولي تطلعك على كل الشائعات ساعة بساعة.

ـ صدقيني، لم تتطوع لقول المعلومات.. لقد لزمني ضغط كبير. لكن، بما أنك لا تظنين أنه من الضروري إعلامي..

ـ ما من شيء أعلمك به.. كنت متعبة، واضطر نيل أن يكون في مكان آخر. وأنت كذلك. ستسلمين اليوم معدات التوليد في المستشفى، هل نسيت؟

ـ أنا في طريقي إلى هناك.. هل يمكن أن أوصلك؟

ـ لا.. فكل شيء منظم.. يمكن لمولي أن تتدبر أمرها من دوني.. سأكون جاهزة وقت الغداء.

والتقطت حقيبتها: «رومانا..».

واجتازت شقيقتها المكتب لتأخذ الهاتف النقال الموجود على الطاولة وتعطيها إيّاه.

ـ لا تنسي هذا، أنا بحاجة لأن أتكلم معك في أي وقت.

أدركت رومانا، متأخرة، أن انديا لا تبدو متحمسة فمشاكلها في المتجر كثيرة وسألت: «هل سمعت شيئاً عن أبي؟».

ـ إنه لا يرد على المكالمات.

لا عجب في هذا. نيل على حق، فوالدهن ذهب في إجازة مطولة وتركهن يواجهن أسرة فاراداي، بينما يعبث مع النساء الجميلات.

ـ إذن.. نحن لوحدنا.

ـ الرجال! ومن يحتاج إليهم؟

وضحكت انديا.

ـ حسب ما بدأت مولي تخبرني به عنك وعن نيل ماكاولي، ربما يجب أن تضعي التحامل الشخصي جانباً وتفكري بالمتجر.. إذا أغويته، فسيجعله هذا يتنازل.

أحست رومانا بالحرارة الخوانة تتصاعد إلى وجهها، وهي ترد: «مولي لا تعرف عمّا تتكلم».

ـ حقاً؟ وأنت دائماً تتكلمين بالأفضل عنها حين تحاولين الضغط علي لدفع مرتبها. ألم يأخذك إلى الغداء يوم أمس؟

ـ لقد كان بينكما حديث طويل على ما يبدو.

ـ نعم؟

اعترفت: «تناولنا الغداء».

وتمكنت أخيراً أن ترد الابتسامة: «تشيز بيرغر ومشروب غازي في مطعم على الطريق».

ـ حسناً.. أعتقد أنني سأترك عملية الإغواء لفلورا.. لقد حان الوقت لتضع ثقلها.

قالت رومانا بجفاء: «فلورا المحظوظة. وكيف تقترحين أن تجعلي جوردن فاراداي يركع؟».

ـ لدي من يفكر في ذلك.. لا بد من وجود شيء.

ـ انتبهي لنفسك.. لديهم مقصوصات صحفية عنا منذ الولادة.

ففي الواقع وجدت رومانا مغلفاً ملقى على باب دارها، يحتوي مقالاً صحفياً عن أمها. وكانت الملاحظة الصغيرة المرفقة تقول «قد لا تكون الأمور دائماً بسيطة كما تبدو... اطلبي منها أن تحكي لك قصتها.. نيل».

ولم تتصل رومانا.. فعندما كانت مراهقة، كانت تتصل بأمها أملاً في أن تسمع صوتها.. لكن، كان هناك شخص آخر يرد على المكالمة، خادم أو حارس منزل.. ولو ردت أمها لأقفلت الخط على أي حال.. فماذا عساها تقول لها؟

خرجت من سيارة الأجرة ونظرت إلى المنزل الأنيق وهي تقف برهة لتأخذ نفساً عميقاً.. وتهدىء قلبها الخافق بقوة.. ثم سارت في الممر وقرعت الباب الأمامي.

فتحت الباب امرأة سمراء وبجانبها طفلة في السادسة أو السابعة من عمرها، وابتسمت لرومانا بخجل ثم سعلت.

قالت الخادمة: «إنها مصابة بالزكام».

وكانت المرأة أوسترالية، وكان صوتها دافئاً ووجهها بشوشاً.

نادى صوت من غرفة في مؤخرة المنزل: «من هذا تشارلي؟».

ـ أنا رومانا كلايبورن.

وأعطت الفتاة قصاصة المجلة.

ـ هلاّ أعطيتِ هذه للايدي ماكي، وسألتها إذا كانت تسمح برؤيتي؟

ـ تشارلي؟

وظهرت والدة رومانا في نهاية الردهة.. جسمها الرائع زاد وزناً مع السنوات والأطفال. وظهرت بعض التجاعيد حول عينيها.. لكنها

www.elromancia.com

كانت لا تزال جميلة جداً. . وستبقى هكذا دائماً. . وفي وجهها دفء لم تلتقطه الصور الرائعة التي قطعتها رومانا في طفولتها من المجلات، وخبأتها في صندوق أسفل خزانتها.

وإذ كبرت وأدركت أن خيالها الرومانسي حول سبب ترك أمها لها كله هراء، توقفت عن الاستماع إلى ذلك الصوت المتأمل الصغير الذي كان يردد لها دوماً أن أمها ستعود إليها يوماً. وتوقفت عن قراءة القصص، كما توقفت عن النظر إلى الصور. وأقامت جنازة لصندوق الصور ذاك.

لكن نيل كان يظن أن هناك وجهاً آخر للقصة. .

قالت الخادمة: «إنها رومانا كلايبورن».

ـ رومانا؟

كان الصوت ناعماً وأجش. . مألوفاً ومع ذلك غريب.

ـ رومانا. . هل هذه أنت حقاً؟

قاومت رومانا الرغبة في الارتماء بين ذراعي أمها.

ـ شخص ما. . صديق. . أعطاني هذه القصاصة. . وكان يجب أن أعرف إذا كان ما فيها صحيح، ما قلتِهِ حول ارتكاب الأخطاء. هل أنت نادمة حقاً. . ؟

لكن الأم لم تنتظر أن تنهي رومانا كلامها. . بل مدت يديها وأمسكت بيدي ابنتها: «أوه. . يا عزيزتي. . يا طفلتي العزيزة، كدت أفقد الأمل. . ظننتك لن تأتي أبداً».

* * *

١١ ـ ذكريات

نظرت رومانا حولها محاولة لمح نيل بين الحشد.

ـ أين هو نيل؟

رفعت مولي حاجبها: «لقد افترضت أنه معك».

ـ لكنني. .

وصمتت. لقد تكهن نيل أنها ستذهب لترى أمها، ولم يحضر إلى المستشفى كي يلاحق شؤونه الخاصة.

ـ سأراك فيما بعد.

ـ لكن ماذا عن الغداء؟ سيكون هناك فراغ حول المائدة. .

ـ أنت نائبتي. . فتطوعي!

خارج المستشفى تمكنت من الاتصال بمكتب نيل. وبدا أن سكرتيرته كانت تتوقع اتصالها وقالت لها إن نيل سيبقى خارج المكتب لبضعة أيام.

واتصلت به على هاتفه النقال. وكل ما حصلت عليه كان صوته يطلب منها ترك رسالة. لكن رسالة لن تفيد، فبعض الأمور أهم من الرسالة.

ليلة أمس لم يكن في مقدورها أن تتصور أنها قد تعود إلى منزله في سبتيالفيلد. . لكن هذا الصباح. . هذا الصباح، أي شيء ممكن.

استدعت سيارة أجرة وأعطت العنوان للسائق.

www.elromancia.com

وبدا أن السيارة كانت تزحف عبر زحمة السير، كان يمكن أن تسرع أكثر لو استقلّت دراجتها.. لكن التأخير أعطاها الوقت لتفكر. تفكر فيه وهو يعود ليلة أمس إلى منزله الفارغ، وإلى تلك الصور المثيرة للمشاعر. وبدلاً من أن يطلب مساعدتها ليواجه حزنه، انشغل في التفتيش عن مقالة في مجلة.. مقالة عن أمها ومشاركتها في عمل خيري مع أولاد زوجين مطلقين.. ولقد تكلمت في المقال بحزن عن أخطاء ارتكبتها، وعن ندمها لأن ابنتها ضاعت منها.

لقد وضع المغلف في علبة بريدها ليلاً. لقد اجتاز لندن وهو يرغب في أن تعرف هذه الحقيقة وأن يعيد إليها شيئاً ظنت أنها فقدته إلى الأبد.. ولقد نجح بينما هي لم تسبب له سوى الألم.

دفعت أجرة السيارة، وارتقت السلم القصير إلى الباب. ثم، وهي تمد يدها إلى المطرقة.. فقدت شجاعتها مؤقتاً.

كيف سيبدو؟ ماذا سيقول؟ ربما لن يرغب في أن تدخل.

والأكثر أهمية، ماذا ستقول؟

شكراً لك، ستقول فقط شكراً لك.. وسيفهم.. ثم..

ـ رومانا؟ رومانا لماذا تكلمين نفسك؟

استدارت: «لأنني يجب أن أفهم جيداً.. نيل!».

ـ تبدو عليك الدهشة لرؤيتي.. مع أنك تقفين على باب داري.

ـ أجل.. حسن جداً.

وأشارت إلى الباب الأمامي، ثم إليه.. ثم أدركت أنها تبدو غبية.

ـ كنت على وشك أن أقرع الباب.

ـ وتفكرين بما ستقولينه أولاً؟

وابتسم.

رفعت كتفيها بارتباك: «فكرت أن أبدأ بشكرك، وأرى كيف

ستسير الأمور بعدها».

كان يرتدي بنطلون جينز قديماً وقميصاً بدا فيهما رائعاً.

ـ شكراً لك.

ـ وهل هذا كل شيء؟

كانت تريد أن ترمي ذراعيها حوله وتعبّر له عن شكرها على طريقتها، لكنها فجأة لم تعد واثقة من أنها يجب أن تكون هنا.

ـ يجب أن أعود إلى المكتب الآن.

ـ تعالي لتتناول الغداء أولاً.

وضع علبة الدهان التي كانت في يده، وفتش في جيبه عن المفتاح.

ـ مدراء العلاقات العامة يتناولون الغداء أليس كذلك؟

ـ يجب أن أكون في المستشفى الآن.. وأنت كذلك، يجب أن تكون هناك تراقبني وأنا أتألق.

ـ لقد سبق ورأيتك تعملين.. لديك مهارات في مختلف المجالات.

وكان يجب أن يبتسم، لكنه لم يفعل.

ـ هل تقولين بهذا إنك اشتقت إلي؟

ـ بالطبع لم أشتق إليك؟ يا لك من متعجرف..

ـ حقاً؟ ربما يجب أن أعيد الأحداث في ذهني.

ليلة أمس تجاهلت أنه من عائلة «فاراداي».. لكنها نسيت ذلك هذا الصباح.

ـ تركت لمولي إدارة العرض. فقد كان لدي شيء أكثر أهمية لأفعله.

ـ حسن جداً.. أنا واثق من أنها سعيدة لأنك أتحت لها فرصة إظهار ما يمكن أن تفعل.. إنها ذكية وطموحة.

www.elromancia.com

ردت رومانا بحدة: «ومتزوجة كذلك».

ثم ارتاعت في كشفها لهذا النوع من الغيرة، وتابعت بسرعة: «لو حصلتم على المتجر.. سآخذها معي».

ـ وهل تعترفين بهذه الإمكانية؟ الأشياء تتحسن.

ـ أنا لم أعترف بشيء.

ـ لا؟ حسن جداً، لن أجادلك. لكن، عليك مواجهة واقع أن مولي قد لا تريد اللحاق بك.

ـ وهل تظنها حقاً ستعمل لحسابك؟

واستدارت تأخذ حذرها: «قد أقدم لها عرضاً لا تستطيع رفضه».

وأغلق الباب وأشار إليها لتسير في الردهة باتجاه المطبخ.

ـ أراهن أنها ستحب أن تكون رئيسة قسمها، وبوجودك هذا لن يحدث.. أليس كذلك؟ ستبقى دائماً الشخص الثاني من بعدك.

منذ متى وهو يراقبها؟ ها هو يعرف أكثر عنها وعن مساعدتها، مما تعرفه هي. فهل تنظر إلى ولاء مولي كأمر مسلم به؟ هل هي فاقدة الإحساس إلى هذا الحد؟ وابتلعت ريقها لتعترف: «ربما».

ـ بل بالتأكيد. قد تكونين عاطفية حول إدارة كلايبورن، لكنني أؤكد لك أن ما من أحد غيرك سيفعل هذا. فسيكونون مشغولين جداً في التمسك بعملهم.. تعالي وأخبريني عن صباحك.

ـ صباحي؟

ولزمها وقت لتعتاد على ما حدث ذلك الصباح، وسألت: «وصباحك أنت؟ هل يعرف جوردن أنك لعبت الهوكي؟».

ـ جوردن لا يمتلكني.. ثم أنا أعرف كل شيء عنك.

مد يده ليمسك يدها ويمنعها من التراجع عنه.

ـ أوه.. حقاً؟

وبدت متوترة قليلاً..

قال بإصرار: «أنا سألتك أولاً».

ـ اسمع.. جئت لأقول شكراً. ولقد فعلت هذا.

ـ افعليه مرة أخرى.

ولف ذراعه حول خصرها ليطمئن إلى أنها لن تتهرب، ونظر طويلاً في عينيها الزرقاوين اللتين بدأتا تلاحقانه حتى في أحلامه..

قال: «ما كان يجب أن تقصي شعرك.. حقاً. كان يمكن أن أقاومك بذلك الشعر المريع».

ردت بصوت أجش: «صحيح.. القليل من هذا المديح سيوصلك إلى مكان بعيد. والآن، لقد قلت كل شيء جئت لأقوله..».

شد قبضته على خصرها.

ـ إلى المطبخ رومانا. لن تذهبي إلى أي مكان إلى أن تخبريني كل شيء عن صباحك.. هل رأيتها؟

كانت على وشك أن تسأل من؟ لكنها فهمت بسرعة قصده. والفضل في هذا لنيل، فمن دونه، ما كانت لتعرف الحقيقة عن أمها أبداً.

قالت: «أجل.. رأيتها».

ـ و؟

ـ وتكلمنا، أخبرتني أشياء.

وأخذت منه كيس الطعام الذي اشتراه قبل قدومها بقليل.

ـ رائحته شهية.. ما هو؟

وتركها بعد أن عرف أنها ستبقى.

ـ مازة من مطعم لبناني. يقع في الجهة الأخرى من السوق.. اجلسي وسآتيك ببعض الأطباق.

ـ لا . . حقاً . . يجب أن أعود . . لدينا غداء لجمع المال غداً .

ـ دعي مولي تهتم بالأمر . . فالتجربة ستفيدها ، وأنت تبدين متعبة .

ـ شكراً .

ـ هذا مديح يا رومانا وليس انتقاداً . .

وشعرت بأنهاعلى وشك أن تتهاوى فوق الكنبة ، فترددت ثم أخذت كرسياً خشبياً وجلست إلى الطاولة .

ـ ابقي فقط بعيدة عن القهوة الجاهزة وستكونين بخير .

ـ أنت لن تنسى هذا أبداً . . أليس كذلك؟

ـ لا . هذه لحظة غيرت حياتي ، ولا يمكن أن أنسى .

لقد عاش الكثير من هذه اللحظات مؤخراً . . تلك اللحظة التي دعته فيها إلى التمتع بالعطر الذي اشتراه لها ، طريقة تسويتها لربطة عنقه . . الطريقة التي كانت تبدو فيها والقميص القطني المبلل يلتصق بها .

سألت : «هل كنت تعرف من أنا؟ حين خرجت من سيارة الأجرة؟» .

ـ لا . . كنت أتوقع امرأة أعمال ببذلة رصينة . . ومحام يلحق بها .

تمتمت : «انتظر حتى شهر حزيران» .

ـ وبالطبع لو كنت محملة بأكياس مؤسسة كلايبورن وفاراداي بدلاً من أكياس دور الأزياء الأخرى ، لأدركت ذلك . . ولست هنا أنتقد فالفستان كان مذهلاً .

ـ من المفترض أن يكون أقل تأثيراً .

وغير الموضوع قبل أن يفقد السيطرة على أفكاره وركز على تحضير الغداء .

ـ أخبريني عن أمك .

وجلس على الكرسي المجاور لها .

ـ كيف كان اللقاء بها؟

ـ لقد تحدثنا كثيراً ، قالت إن أبي فقد اهتمامه بها بعد سنة من زواجهما .

ـ لم يكن رجلاً معتاداً على الالتزام الطويل؟

ـ لا . . وأعتقد أن علينا أن نكون ممتنين لأنه تزوج ثلاث نساء فقط . واضح أن الإخلاص الزوجي لم يكن من فضائله . لقد تحملت علاقاته لزمن طويل من أجلي ، ثم التقت بجايمس ، واكتشفت ما هو الحب .

ـ إذن ، لماذا لم تأخذك معها؟

ـ يبدو أن جدتي أجرت تحقيقات عنها حين تزوجت أبي . وبطريقة ما وجدت أنها كانت على علاقة غرامية برجل كبير في السن قبل أن تلتقي بأبي . وكان رجلاً معروفاً ، والتقيا في حفلة وسحرها تماماً ولاحقته دون هوادة ، وبالطبع أحس بالغرور .

قال : «كانت جميلة جداً» .

ولابنتها البنية ذاتها ، والفم الشهي ذاته .

قالت : «لقد كان محظوظاً جداً . فقد سامحته زوجته ، وكانت الصحف مشغوفة جداً في ملاحقة بعض السياسيين ممن تعرضوا للفضائح ، ولم يعرفوا بالأمر . . وانسحبت أمي عن الساحة . . بائسة ، متألمة ، تشعر بالغباء ، والذنب للضرر الذي ألحقته ، وتعي تماماً كم كان يمكن أن تكون الأمور أكثر سوءاً» .

ـ وجاء والدك لينتشلها من ضعفها؟

ـ أشك في أن يكون قد لاحظ ضعفها . ما لاحظه هو جمالها . . ولقد حصل كلاهما على ما يريدان فقد قالت إن أبي لم يثر أي ضجة

حين أرادت الطلاق.

ـ لكن جدتك لم تكن لطيفة إلى هذا الحد؟

ـ جدتي لم تكن تهتم لأمي، بل اهتمت فقط بإبقاء الوصاية علي. وهددت بإرسال تفاصيل عن العلاقة الغرامية إلى الصحف إذا لم تتركني. وكان الرجل المتورط معها معروفاً، جداً.. لقد ارتكب غلطة حمقاء، ولامت أمي نفسها على هذا.

ـ وهذا مزعج قليلاً.

ـ ربما.. لكنها لم تكن مستعدة لتدميره.

ـ وهكذا حصلت على طلاق سريع وتسوية نقدية، لتخفيف ألمها.. وذلك بفضل الجدة.

ـ لم يكن للمال دخل في هذا.. لكن الأمر بدا هكذا. لقد ظن الجميع أنها أخذت المال وهربت.. وبالمقارنة مع والدي لم يكن جايمس ثرياً لكنه لم يكن فقيراً بالتأكيد. ولم يهتم أحد بهذا.. فقد كانت الشائعة مسلية أكثر بكثير.

ـ كان بإمكانها المطالبة بك.

ـ لا.. هكذا كان الاتفاق.. ابتعدي، ولا تنظري إلى الخلف. وأحست أن هذا هو عقابها. لقد كانت سيئة، ولا تستحقني. وكل ما أملت به أن آتيها في يوم ما واسألها لماذا فعلت هذا كي تستطيع أن تخبرني كل شيء. وفي تلك الأثناء كرست نفسها لزوجها، ولعائلتها، وللأعمال الخيرية.

ـ وعاشت على أمل أن يأتي يوم كهذا؟

ـ لقد كان هناك الكثير من الوقت المهدور. ولولا فصاحة المجلة لما تمت بالخطوة الأولى ولما أتيت أنت إلى لندن في منتصف الليل لتحضرها لي.

ومدت يدها تلامس بخجل يده: «سأبقى دائماً ممتنة لك».

ـ ليلة أمس جعلتني أرى كم أضعت من وقت. جعلتني أفكر بالسنين التي فاتتك مع أمك. وكان لدي ذلك الإحساس.. ربما شيء قاله أبي ذات مرة.. لا يهم. فكرت فقط في أنني قد أجد شيئاً لو فتشت في المجلات.

وغطى يدها بيده.

ـ هكذا أمضيت الليلة... أضع الأمور في نصابها، وأودع الماضي. علي أن أشكرك لجعلي أواجه كل شيء.

ـ على الرحب والسعة.

ـ وستنالين مكافأتك بعناق طويل.

ـ نيل.. أنا لا أريد.. هذا شيء لا علاقة له بمؤسسة كلايبورن وفاراداي.

وكانت تكذب. فقد أرادته إلى درجة الجنون.

ـ أعرف. هذا أمر آخر مختلف تماماً. أتعرفين شيئاً؟ كان الفجر قد بزغ تقريباً حين وضعت المغلف أمام الباب، وفكرت في أن أوقظك وأدعو نفسي للدخول وتناول الفطور.

ـ ولماذا لم تفعل؟

لأن الوقت مبكر جداً.. ومعقد جداً، ولأن لديه أمور يصلحها قبل أن يشاركها الفطور، ولم يقل لها هذا، بل قال: «انظري إلى المرآة، أي شخص يمكن أن يرى أنك بحاجة إلى كل النوم الذي تستطيعين الحصول عليه».

ـ أجل.. وأكاد أموت جوعاً كذلك، هل ستتناول الغداء أم ماذا؟

وقسم الغداء في طبقين: «ما هذا؟».

ـ تبولة.. حمص.. ورق عنب محشو، وخضار مسلوقة.

www.elromancia.com

ثم أخذ قليلاً من الطعام على شوكة وقدمه لها.

ـ تذوقي هذا، اسمه «المغمى عليه».

ـ لذيذ جداً.. ولو أنني لا أعرف إن كان سيغمى علي..

أعطاها نصف رغيف خبز، وقال معلقاً: «واضح أنه أغمى عليه بسبب ثمن زيت الزيتون المصنوع به».

أكملا الطعام في صمت، ثم قالت رومانا: «لم تقل لي شيئاً عن صباحك أنت».

ولامست لطخة دهان على يده.

ـ هل كنت تدهن؟

ـ كنت أدهن السقف في غرفة الجلوس في الطابق الأعلى.. والأمر سخيف حقاً، لم أستطع إنهاءه كله.. إنه التزام.

ـ التزام بماذا؟

ـ بالمستقبل، بالانتقال. لقد قلت إن علي الانتقال من هنا، وفكرت أنك ربما تكونين على حق.

ـ هذه المرة الأولى إذن.

ـ لقد تكلمت بكثير من المنطق ليلة أمس. وفكرت بالأمر، جدياً، فكرت بشقة في دوكلاند.. أو كوخ معزول في تشبلسي.. مكان ما لمجرد إرضاء نفسي.. دون حمل ماضٍ أعيش معه.. لكن المشكلة أنني لم أستطع أن أرى نفسي في أي من هذا.. لسنوات كنت أخيم هنا، أرفض تحويله إلى منزل ملائم لأن لويز ليست هنا لتشاركني.. لكن، بالرغم من إهمالي له ما زال بيتي.. وأريد أن أبقى فيه.

ـ مع الأشباح؟

ـ ليس هناك أشباح يا رومانا. أنا فقط.

ـ أنت وأحدث شيء في القرن الثامن عشر وآخر صيحة للديكور

الداخلي فيه.

ـ لا.. لقد عنيت ما قلته عن الانتقال. فكرت في أن أحافظ على روحية العصر، الأصفر الشاحب والألواح المدهونة باللون العاجي.. وسأستدعي تلميذين من كلية الفنون الجميلة وأدعهما يعملان فيه.

قالت: «يبدو هذا ساحراً».

وتصورت الغرفة غارقة في أشعة الشمس بدلاً من أن تكون مقفلة في العتمة.

ـ لكنك ستحتفظ بالألواح المدهونة في الردهة؟

ـ وهل أعجبتك؟

ـ وهل يهم ما يعجبني؟

كرر: «هل أعجبتك؟».

ـ أجل.. أعجبتني.

ـ إذن ستبقى.

ـ عظيم.

وكان لرومانا إحساس مربك بأن شيئاً ما حدث للتو، ولم تنتبه له.

ـ حسن جداً.. علي حقاً أن أذهب.

ـ كنت آمل أن تتطوعي وتبقي لتساعديني في الديكور.

ـ حقاً؟

ووجدت صعوبة في تهدئة دقات قلبها التي تسارعت لمجرد التفكير بقضاء يوم كامل برفقته. لكن هذا شيء يجب أن يفعله لوحده.

ـ ولماذا أفعل هذا؟

ـ للمرح؟

ـ حين أريد المرح، سأذهب لأتسوق. وسأطلب من فريق التصميم الداخلي أن يأتي ليعطيك أفكاراً بشأن التدفئة والتمديدات الصحية

www.elromancia.com

والديكور.

ـ سأحصل على خدمة أفضل لو انتظرت حتى نستولي على الإدارة.

ـ كن واقعياً يا نيل. لن يحدث هذا.. فأنت تحت هذه الواجهة الخارجية الفولاذية طري العود.. ولن تأخذ المتجر مني.

ـ لن أفعل؟ حتى ولو كان هذا صحيحاً، يبقى برام وجوردن.. إنهما بليونة الاسمنت.

ـ وعليهما مراقبة فلورا واندبا.. الجليد والفولاذ.. شكراً للغداء.. كان لذيذاً.

ـ ربما يمكن أن نخاطر في الذهاب إلى مطعم في المرة القادمة؟.

ـ دعنا لا نستبق الأمور.

ـ تريدين أخذ الأمور بروّية؟ حسناً.. سأغيب عن الغداء الرسمي غداً..

لا.. ليس هذا ما تريد سماعه!

ـ لدي بعض الأعمال يجب تسويتها، فدعينا نرى كيف ستتدبر الأمور في الحفل الراقص ليلة السبت.. فمن يدري؟ قد نتناول الطعام معاً.

وابتلعت رومانا ريقها: «ستأتي إذاً إلى الحفل الخيري الراقص؟ ظننتك قلت إنك بتّ تعلم كل شيء عني».

ـ كنت أكذب، فليس لدي فكرة عما إذا كنت تعرفين الرقص أم لا..

ـ أنت ترقص؟

ـ قد يكون في هذا مبالغة. فأنا أحتاج إلى من أتمسك به.

ـ نيل..

وانتظر.

ـ لا شيء.. سأتأكد من أن تحجز لك مولي مقعداً، أيها الرجل الظل.

ـ لا تنسي أن على الظل أن يكون..

ومد يده يمرر أصابعه على عنقها: «.. قريباً جداً».

* * *

www.elromancia.com

١٢ ـ رقصة الحب

كان شعر رومانا كهالة ذهبية وهو يحيط بوجهها ويتأرجح بأناقة على عنقها.. وبدا فستانها خيالياً، مصنوعاً من الحرير الأسود وكان الحذاء الأنيق الذي تنتعله مشكوكاً بالخرز.

كان نيل قد دق باب شقتها، وحين فتحته وحقيبتها في يدها، ووشاحها على ذراعها، دهشت على الفور ولم تستطع قول شيء ما عدا اسمه: «نيل.. ماذا تفعل هنا؟».

ـ جئت آخذك إلى الحفلة الراقصة.. سندريلا.. العربة تنتظر.

ـ نيل.. هذا لطف..

وكذبت.. لم تكن تظنه لطيفاً. لقد ظنت أن له دافعاً خفياً، وكانت على حق.. لم يرها منذ يومين. وأراد أن يكون لوحده معها، أن يقضي عشر دقائق هادئة في صحبتها قبل صخب الأمسية.. فقط ليجلس إلى جانبها في الظلام ويمسك يدها.

ـ لكن لدي سيارة تنتظر..

ونظرت إلى ساعتها الصغيرة المرصعة التي حلت مكان ساعة العمل العادية، ففاح من معصمها عطر ظل الصيف.. الصيف.. الخريف.. الشتاء.. الربيع..

ـ قلت لمولي أن تلغي استئجار سيارتك.. إذ اننا ذاهبان إلى المكان نفسه.

ازداد عمق احمرارها: «قلت لها؟ لكنك لم تستلم إدارة الشركة بعد».

ـ ربما يجب أن تقولي لها هذا.

ـ لا تملي عليّ أفعالي وكأنك عرابتي الجنية.

وابتسم: «لن أسمح بخروج سندريلا في فستان كهذا».

ـ ألا يعجبك؟

ـ لم أقل هذا. لكنني كنت أتمنى ألاّ تحاولي الإقلال من شأنه.. لأنك ستفشلين.. إنه فاضح جداً.

وأخذ منها الوشاح الذي تحمله.

ولم تستطع رومانا منع ابتسامة صغيرة وهي تستدير لتدع نيل يلف القماش على كتفيها.

ـ لا أحد يتجه إلى البساطة في حفل راقص كبير نيل.. فمجلات المشاهير تريد أن يسيل لعاب قرائها للملابس الفاخرة، فما رأيك؟

واستدارت لتواجهه: «رأيي..».

لقد أعطته فرصة لتعليقات مداعبة. لكن الحرارة المفاجئة المنبعثة من عينيه كادت تحرقها.. وكلما فكر أكثر، كلما تمنت حقاً لو لم تسأل سؤالاً سخيفاً كهذا، وقال: «أعتقد أنك يجب أن تسجني قبل أن تتسببي بفتنة.. لكن ربما أنا أتأثر بسهولة».

مدت يدها تسوي ربطة عنقه.

أمسك يدها: «هل نذهب؟».

جلسا في مؤخرة السيارة، يده فقط فوق يدها، دون أن يتركها مرة فيقطع الاتصال.

ـ كيف يسير العمل في الديكور؟

نظر إليها.

ـ غرفة الجلوس انتهت . . نفد صبري فاستخدمت من يساعدني .
ـ وماذا بعد ذلك؟
ـ المطبخ يحتاج إلى بعض العمل .
ـ مع ذلك، لا شيء عصري جداً . . ستحتفظ بالمغسلة والطاولة وغرفة الأدوات . . ؟
وصمتت : «ستبقى . . وسيبدأ الرجال بالعمل غداً» .
ـ سيكون من الصعب العيش مع العمل .
ـ فكرت أن أسافر قليلاً .
وشعرت فجأة بتوتر في معدتها : «قرار جيد» .
ـ أستحق إجازة منذ زمن بعيد .
ـ حقاً .
وتوقفت السيارة، لكنه لم يحرك يده عن يدها حتى حين فتح حارس الفندق باب السيارة . . لم يتركها . . لم يتحرك .
ـ الرقصة الأولى لي .
ـ الرقصة الأولى؟
ولم تكن هذه الكلمات التي تريد فتاة أن تسمعها . . وغاص قلب رومانا أكثر : «لن يكون لدي وقت للرقص . . ربما تمكنت من سرقة بضع دقائق فيما بعد» .
ـ لن يكون هناك فيما بعد .
ألن يبقى؟ واشتدت يده على يدها وتمتم بإصرار : «الرقصة الأولى» .
خرج من السيارة وأبقى يدها في يده وهو يساعدها على الخروج، وذراعه تحت مرفقها وهما يدخلان قاعة الرقص .
ودخلت رومانا على الفور في جدال مع مولي حول التغيرات التي

طرأت في اللحظة الأخيرة . وكان لديه تفاصيل خاصة يهتم بها . . وتدبرّ ترتيب أمر الجلوس إلى جانب رومانا، ثم ذهب يبحث عن رئيس التشريفات لتلك الأمسية .
قالت رومانا بعد أن جالت في القاعة مع انديا وفلورا لتحية الأصدقاء .
ـ أنت واضح المقاصد يا نيل .
ـ إذن، كان يجب أن تضعيني هنا في الأساس .
ـ كان بإمكانك أن تراني من هناك .
ـ كان يمكن أن أراك، لا أن أسمعك، أو . .
ومال إليها بحيث بات قربه منها يقطع الأنفاس .
ـ أو أن أتمتع بالعطر الرائع الذي تضعينه .
ـ إنه عطر جديد . . وأنا أسوّقه .
ـ لقد اشتريتُه . . هل نرقص؟
نظرت إلى باحة الرقص، فوجدتها فارغة، قال : «على أحد أن يقوم بالخطوة الأولى» .
ـ يجب أن تكون انديا .
ـ إنها مشغولة في تسلية الأصدقاء والتأثير في الناس .
أمسك كرسيها فوقفت : «أنت تنوي شيئاً» .
ـ بالطبع .
كادا يصلان إلى حلبة الرقص حين قال المذيع : «سيداتي سادتي، أصحاب المعالي . أرجوكم رحبوا بالآنسة رومانا كلايبورن والسيد نيل فارادي ماكاولي . . إنهما من عائلتين عظيمتين أسستا كلايبورن وفارادي . . وقد تطوعا لافتتاح الرقص على أنغام الڤالس» .
وتصاعد الهتاف فقاطعه : «لكن أولاً، سيطالب السيد ماكاولي

www.elromancia.com

الجميلة الآنسة كلايبورن بعناق».

ولم تستطع رومانا أن تصدق ما تسمع.. سيفعل أيّ شيء من أجل الإعلان. لمجرد أن يريها أن كل ما يمكن لها أن تفعله، يستطيع فعل أفضل منه.

وهو على حق، لا شيء.. لا شيء سيمنع محرر مجلة المشاهير من وضع هذه الصورة على الغلاف.

وستنشرعلى الأرجح في معظم صحف الصباح كذلك.

هذا هو مجال اختصاصها، وها هو يتفوق فيه عليها.. فبعد موافقته أنها تريده من نوعها ذكياً، ها هو يُظهر لها أنه أفضل، وأنه قادر على صنع قصة للصفحة الأولى، قصة ستنسف كل شيء عملت جاهدة لتحققه.

إنه فاراداي أولاً وآخراً.. حتى وهي تحاول إيجاد الكلمات لتعبر عن مشاعرها وضع يده على خصرها، ودنا منها.. وللحظة نظر إلى وجهها.. لقد كسب، وما من شيء يمكنها أن تفعله لمنعه من المطالبة بحقه.

العناق.. المتجر.

وبدأ تصفيق بطيء من حولهما.. وأخفض نيل رأسه أخيراً نحوها.

هذا أمر فظيع.. عناق بطيء طويل، استمر واستمر، والمتفرجون بالآلاف يصيحون ويصفقون.. لكن هذا لم يكن أسوأ ما في الأمر.

الأسوأ أنها كانت تستجيب بحرارة لم تستطع إخفاءها.. كانت تفضح مشاعرها الحقيقية، ولم ترغب في أن ينتهي ذلك.

لكن العناق انتهى أخيراً، وانتهت معه كل آمالها، كل شوقها... والدموع التي تجمعت انسكبت على خديها..

مع بدء الموسيقى راحا يرقصان لأن الرقص فرض عليهما.. أحست أنها متصلبة جداً حتى أنها كانت متأكدة من أنها ستنهار بين يديه، لكن الناس لم يتوقفوا.. والقلوب لم تتحطم.. هي وحدها كانت تشعر بهذا.

لقد ظهر نيل أخيراً على حقيقته.

وللحظات قصيرة حلوة تنعمت بما ظنت أنه قد يكبر ليصبح شيئاً مميزاً.

كان يجب أن تعرف أفضل من هذا، فالرجل من أسرة فاراداي.. ولعل قلبه قد تحطم، لكنه لن يترك هذا يقف في طريق أعماله.

وتوقف.. كانت الموسيقى لا تزال تعزف لكنه توقف عن الرقص، ورفعت نظرها إليه والتقت نظرته، وسألته: «هل انتهى الأمر؟ هل نلت ما فيه الكفاية؟ هل حصلت على ما يساوي مالك هذه المرة؟».

ـ كان هذا دفعة على الحساب يا رومانا.

ـ ألا يكفيك هذا الاعلان؟

ـ إعلان؟ لم يكن هذا هو القصد يا رومانا.. بل كان إعلاناً مقصوداً وموجهاً لكل أفراد أسرتي كلايبورن وفاراداي في العالم بأنني لن أسمح للمال أن يفرقنا. إشارة علنية مميزة للاندماج: بينك، رومانا اليزابيت كلايبورن وبيني، نيل فاراداي ماكاولي.. وضمانة شخصية أن لويز أصبحت من الماضي.. حيث يجب أن تكون، إنها ذكرى عزيزة، لكنها لن تقف بيننا.

وسمعت رومانا الندم الذي آلمها في صوته.

ـ أحبك رومانا.. وأنا أقول لك الآن إنني سأمضي قدماً في المطالبة بهذا العناق لخمسين سنة قادمة.

ـ خمسون سنة!

www.elromancia.com

وكبتت الدموع التي أصبحت الآن أكثر تصميماً على الانهمار.

ـ هذا إذا قبلت بي.

ـ لكن.. لكنك بالكاد تعرفني.

ـ أعرف كل ما أحتاج أن أعرفه.. وأنا أعرف الشيء الحقيقي حين أشعر به.

لامس وجهها، ومسح دمعة بإصبعه.

ـ أنت أميرة خيالي، أيقظتني من نوم يشبه الموت، وتعرفين كل القصص الخرافية ونهايتها.. أليس كذلك؟

وتوقفت الموسيقى. وتوقف الجمع من حولهما يترقب، وكأنهم يشعرون أن شيئاً ما سيحدث.

ـ أنا أعرض عليك قلبي رومانا، فهل تقبلين به؟

للحظة رهيبة، شكت بكلامه.. لكنها لن تشك به مجدداً. لقد رأت أعماق ذلك الرجل الصلب.

لقد أمضى الليل يفتش في قصاصات الصحف ليجد الحقيقة عن أمها، واندفع عبر المدينة نحوها، ولم يكن مضطراً.

قالت: «نعم.. نعم».

وضمّها إلى صدره وسط تعجّب الجمع.

ثم قال: «أمر واحد آخر. أريدك أن تعرفي أن أي استسلام يجب أن يكون كاملاً.. قلباً وجسداً و..».

ـ روحاً؟

ـ والمتجر.

ضحكت.

ـ أردتك أن تكوني واثقة.. مثلي.. أنني حصلت على المرأة المناسبة. وأردت أن تعرفي أنه مهما كان القرار الذي ستتخذه في

المستقبل للشركة فستكون أسهمي تحت تصرفك كما سأثق بحياتي معك.

وكانا في منتصف المسرح والعيون شاخصة إليهما.

وسأل: «هل هذا كل شيء؟ أم تريديني أن أركع؟».

ـ وهل ستفعل هذا؟

ـ إذا أصريت.

للحظة تظاهرت أنها تفكر بالأمر جدياً، ثم ضحكت.

ـ فيما بعد.. سنوفر هذا حتى نصبح لوحدنا.

وأمسكت يده متجهة نحو المخرج.

قال، وقد تفجرت الأصوات خلفهما: «لكن ماذا عن كل هذا؟».

نظرت إلى الخلف، ورأت انديا تتجه نحوهما.

ـ يمكن لمولي أن تهتم بكل شيء.

***

ـ لقد فعلنا عين الصواب.

رفعت رومانا يدها لترى خاتم الزواج في يدها تحت ضوء القمر، ومد نيل يده يشبك أصابعه بأصابعها.

قالت: «لو قلنا للجميع أولاً لتوقعوا زفافاً عائلياً ضخماً».

ووافق نيل: «أنت على حق».

ـ أعني.. كان سيعطي هذا قسم الزفاف في المؤسسة دعاية لا يمكن للمال أن يشتريها.. ولكنني لم أرغب في أن يكون زفافي مجرد حدث إعلامي.

ـ كما وأن الزفاف العائلي الكبير قد يكون مخادعاً قليلاً في الظرف الحاضر.

ـ لكن، يجب أن نقول لهم.

www.elromancia.com

ـ وأعود إلى البيت لمواجهة الجميع؟

ـ طبعاً ولكن يجب أن نذهب في شهر العسل أولاً . . ألا تعتقد؟

تمتم: «لم أكن أعرف أن شخصين يمكن أن يتفاهما هكذا . . لكنهم سيتساءلون أين نحن؟».

ـ ربما نرسل لهم بريداً الكترونياً.

ـ أوه . . إنها فكرة عظيمة.

جلست رومانا أمام الكومبيوتر وكان خاتم الزواج يلمع في اصبعها وذراع نيل حول خصرها.

ـ حسن جداً . . ماذا ستقول؟

قال: «الأفضل أن تكون قصيرة وبسيطة . . ما رأيك؟ «نعلمكم أن المراقبة انتهت بنجاح . . وتزوجنا بالأمس . . نراكم قريباً . . مع حبنا رومانا ونيل»».

* * *

www.elromancia.com